الجامعـــة الأردنيـــة

كلية الدراسات العليا

حجة اللغة الخاصة

دراسة في فلسفة فتجنشتين

إعداد

أيمن حمودة حسن حاج ياسين

إشراف

الدكتور وليد عطاري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الفلسفة

بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

١٩٩٦

كانون أول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع

١- الدكتور وليد عطاري مشرفاً ٩٧/٥/٧

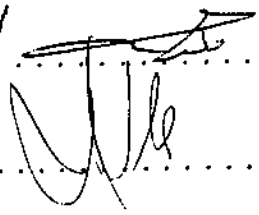

٢- الأستاذ الدكتور أحمد ماضي عضواً .....

٣- الأستاذ الدكتور سحبان خليفات عضواً .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل للدكتور وليد عطاري، لإشرافه على إعداد هذه الرسالة. وأتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور أحمد ماضي والأستاذ الدكتور سحبان خليفات، فقد كان للملاحظات التي أبدياها الأثر الكبير في تخليص هذا البحث من أخطاء عديدة.

ولا أنسى أن أشكر الأستاذ الدكتور سلمان البدور الذي وقف إلى جانبي في بداية تحضيري للرسالة.

أما الدكتور سليمان المخادمة، الإنسان النبيل، والأهل والأصدقاء الذين كان لهم عليَّ فضل خاص، فلهم كل التقدير والاحترام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المحتويات

قرار لجنة المناقشة ..... ب

الاهداء ..... ج

شكر وتقدير ..... د

قائمة المحتويات ..... هـ

قائمة الرموز المختصرة ..... ز

الملخص باللغة العربية ..... ح

المقدمة ١

الفصل الأول: من «الرسالة» إلى «الأبحاث» ٣

الأهمية الفلسفية للرسالة ٨

الفصل الثاني : حجة اللغة الخاصة: تمهيد عام ١٥

١. وظيفة الفلسفة في «الأبحاث» ١٥

٢. المنهج الفلسفي ومصادر الوهم ١٨

٣. كيف انبثقت حجة اللغة الخاصة من نص «الأبحاث» ٢٣

٤. حجة اللغة الخاصة وما سبقها ٢٥

- حجة اللغة الخاصة والفقرات (١-١٣٧) ٢٥

- النقاش حول اتباع القاعدة (١٤٢ - ٢٤٢) ٣١

أولاً مفهوم القاعدة ٣٢

ثانياً : التصور الذاتي لاتباع القاعدة ٣٣

ثالثاً: التصور الميكانيكي لاتباع القاعدة ٣٦

رابعاً: ابستمولوجيا اتباع القاعدة ٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- خلاصة النقاش حول اتباع القاعدة..... ٤٢
٥. مفهوم اللغة الخاصة واتجاهات الحوار..... ٤٤
- مفهوم اللغة الخاصة..... ٤٨
- اتجاهات النقاش بشأن اللغة الخاصة..... ٥١
- السياق التاريخي للغة الخاصة..... ٥٢
الفصل الثالث: تقويض اللغة الخاصة..... ٥٤
١. التصور التجريبي للغة ونموذج اللغة الخاصة..... ٥٤
٢. نقد اللغة الخاصة..... ٦١
- كيف ترتبط الكلمات بالإحساسات..... ٦١
٣. تشكيل مفهوم خاص..... ٦٣
٤. ابستمولوجيا اللغة الخاصة..... ٧٥
- ملاحظات نقدية..... ٧٧
الفصل الرابع : موقف كربكي..... ٨٠
١. تمهيد..... ٨٠
٢. قراءة كربكي «للأبحاث»..... ٨٢
٣. نقد أولي..... ٨٧
٤. هل كان فتجنشتين شكوكياً؟..... ٨٨
٥. اتباع القاعدة: كيف لا يكون خاصاً..... ٩١
الخاتمة..... ٩٥
المراجع والمصادر..... ٩٧
الملخص باللغة الانجليزية..... ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة الرموز المختصرة

فتجنشتين، أبحاث:	فتجنشتين، لودفيغ، أبحاث فلسفية.
فتجنشتين، رسالة:	فتجنشتين، لودفيغ، رسالة منطقية فلسفية.
فتجنشتين، ملاحظات:	فتجنشتين، ملاحظات حول الخبرة الخاصة والمعطيات الحسية.
ماكجن، فتجنشتين:	ماكجن، كولن، فتجنشتين ومسألة المعنى.
بيكر وهكر، الشكوكية:	بيكر، جوردن، وبيتر هكر، الشكوكية: القواعد واللغة.
بيكر وهكر، فتجنشتين:	كربكي، صول، فتجنشتين وبحثه في القواعد واللغة الخاصة.
بيكر وهكر، اللغة:	هكر، بيتر، البصيرة والوهم.
كربكي، فتجنشتين:	ألستن، وليم، فلسفة اللغة.
هكر، البصيرة:	بيكر وهكر، فتجنشتين: الفهم والمعنى.
ألستن، فلسفة:	بيكر وهكر، اللغة: المعنى واللامعنى.
بيكر، فتجنشتين:	بيكر، جوردن، فتجنشتين وفريجة وحلقة فينا.
بيكر، اتباع:	بيكر، جوردن، اتباع فتجنشتين وبعض الملاحظات حول الفقرات (١٤٣ - ٢٤٢).
ونش، دراسات:	ونش، بيتر، دراسات حول فلسفة فتجنشتين.
كني، الديكارتية:	كني، انتوني، الديكارتية والخصوصية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص باللغة العربية

حجة اللغة الخاصة

إعداد أيمن حمودة

إشراف: الدكتور وليد عطاري

تضم حجة اللغة الخاصة الملاحظات والحجج النقدية التي بَلْوَرها فتجنشتين، لا سيما في كتابه أبحاث فلسفية، ضد وجود لغة خاصة بمعنى منطقي، لغة كلماتها تشير فقط إلى الإحساسات الذاتية والمباشرة للمتكلم، والتي هي بسبب ذلك غير متاحة أو مفهومة للآخرين.

الجانب الدلالي للغة الخاصة، أي نظرية اللغة التي تنطوي عليها كإجابة عن الأسئلة المتعلقة باكتساب المفاهيم اللغوية واستعمالها وتحقيق تواصل مشترك فيها... الخ، يستند بشكل واضح إلى افتراض تعريفات إشارية أولية، أو شيء شبيه بالتعيين الذهني الخاص، يشكل فهمنا لها الأسس الأخيرة للغة، الأسس التي تحقق الربط المباشر بين اللغة والواقع، بين العلامات التي لا تقبل التعريف والموضوعات فوق اللغوية. وهذه الأخيرة إما انطباعات وأفكار أو خبرات خاصة ومعطيات حسية كما يخبرنا الفلاسفة التجريبيون.

الجانب المعرفي للغة الخاصة يجد تمثيله القوي في التقليد الدكارتي، التقليد الذي يعطي أسبقية معرفية لما هو ذهني وخاص على ما هو فيزيائي وعام. وأيضاً في التزعات الشكوكية بشأن وجود لغة وعالم موضوعي مشترك بين الأفراد، ومستقل منطقياً عن الخبرة الذاتية.

أا نقد فتجنشتين فيفند الاعتقاد الذي يقول إن المتكلم يمتلك مدخلاً أو إدراكاً خاصاً لاحساساته، تجعله وحده من يعرف معناها وأن معرفة الواقع مشتقة من معرفتنا الذاتية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا التقارير الذاتية المتعلقة بالإحساسات كما تستعمل في ممارسة لغوية فعلية، ولا افتراض موضوع خاص يمكنه أن يفسِّر لنا كيف تستعمل كلمات الاحساسات لغة عامة.

والأهم من ذلك أن لغة خاصة، لغة تستند إلى موضوع خاص يمنح الكلمة معناها أو إلى تعريف ذهني ذاتي يزودنا بمعيار للصحة اللغوية، ليست ممكنة، ولن تكون مفهومة حتى لصاحبها. وبالتالي فإن الشكوك الجذرية حول وجود معنى وعالم موضوعيين لا معنى لها.

أخيراً، بينت هذه الدراسة كيف انبنت حجة اللغة الخاصة على النقاش بشأن الصورة الأوغسطينية للغة والنقاش المتعلق باتباع القاعدة وأهمية التمييز بين ما تحققه هذه النقاشات وما حققته اللغة الخاصة، معارضة بذلك قراءة صول كربكي للصلة بين هذه النقاشات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

تدرس هذه «الرسالة» واحدة من أهم القضايا الأساسية لفلسفة فتجنشتين المتأخرة، أعني ما صار يعرف في الأدبيات الفلسفية بحجة اللغة الخاصة. وتتركز هذه الحجة أو النقاش في كتاب فتجنشتين الشهير، أبحاث فلسفية. وتأخذ حيزاً كبيراً من فقرات الكتاب. و «الأبحاث» المنشور بعد وفاة فتجنشتين بسنتين، أي في العام ١٩٥٣، يعد عصب الفلسفة المتأخرة له. ويتألف من قسمين: الأول ويتألف من (٦٩٣) فقرة، وهو ما يعني هذه الدراسة لتضمُّنه حجة اللغة الخاصة والحجج الأخرى ذات الصلة بها.

في مقدمته القصيرة «للأبحاث»، ينبهنا فتجنشتين إلى أن الآراء التي دوَّنها في كتابه هذا، ليست أكثر من ملحوظات فلسفية، تقفز من مبحث إلى آخر، و «تتقاطع في كل اتجاه». وأنه حاول، مرات عديدة، أن ينظم هذه الملاحظات في شكل نسقي دون جدوى معتبراً ذلك سمة ذاتية للأبحاث.

تشكل ملاحظة فتجنشتين السابقة، للعديد من الدارسين، إشارة مهمة إلى ضرورة أن يُنظر إلى نقاش فتجنشتين في «الأبحاث» في ضوء نصوصه الفعلية، وأن لا يبحث الدارسون فيه عن نظرية أو إشكالية فلسفية نسقية أو تقليدية. وذلك لأن الكتاب، في المحصلة النهائية، يقدم تحليلاً نقدياً للنظريات والأوهام الفلسفية دون أن يضع نظرية أو مفاهيم ميتافيزيقية مقابلة لها. فاهتمامه موجه إلى الآراء والطرق الفلسفية العلاجية، بل إن آراءه في صورتها الإيجابية توظف دوماً لتبديد المشكلات الفلسفية[١].

نحت هذه الرسالة هذا المنحى. فحجة اللغة الخاصة تهدف إلى تقويض العديد من

---

(١) انظر حول هذا الأمر:

McGinn, Wittgenstein , p. 1, 2, 3, 28, 29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التصورات الفلسفية الذائعة في فلسفة اللغة والمعرفة. وهي تتقاطع مع آراء فتجنشتين في الحجج السابقة لهذه الحجة، لأغراض نقدية لا لبناء نظرية حول اللغة.

من هنا، خصص الفصل الأول لإبراز المضامين الفلسفية لعمل فتجنشتين المبكر، رسالة منطقية فلسفية، مع التركيز على جوانب التلاقي والاختلاف بين المضمون الفلسفي في «الرسالة» وفي «الأبحاث».

وخصص الفصل الثاني لبحث الوظيفة النقدية أو العلاجية للفلسفةكما بدت في «الأبحاث»، وإعطاء تصور أولي عن طبيعة آرائه المعارضة للغة الخاصة، ولغيرها من التصورات. واهتم بتحديد أغراض هذه الحجة واتجاهات النقاش فيها، وأهمية ذلك كله من وجهة فلسفية. وفوق ذلك ناقش هذا الفصل الآراء التي مهّدت في «الأبحاث» لحجة اللغة الخاصة، والصلات الحقيقية التي تقوم بينها وبين «الصورة الأوغسطينية للغة» و «اعتبارات اتباع القاعدة».

لقد خصص الفصل الثالث لتعيين الصور المتعددة لنموذج اللغة الخاصة ونقدها باعتبار هذا النموذج مفهوماً مركباً عوّل عليه العديد من النظريات الفلسفية لتفسير المعنى، والفهم، وبناء مواقف ابستمولوجية شكوكية المنحى.

أما الفصل الرابع فلم يخصص، قصداً، لمعالجة موقف كربكي من مسألتي اتباع القاعدة وحجة اللغة الخاصة؛ وذلك لتشعب هذا الموقف وتقاطعه مع توجه فلسفي عمّ بين عدد من الفلاسفة المعاصرين، وأشرنا إليه لماحاً. واقتصر هدف هذا الفصل على منع الخلط بين حجة فتجنشتين بشأن اللغة الخاصة واتباع القاعدة وبين تأويل كربكي الذي أساء تأويل هذا النقاش لأكثر من سبب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

من «الرسالة» إلى «الأبحاث»

تطورت فلسفة فتجنشتين من اهتمامه الاساسي بطبيعة المنطق والرياضيات. وغلب هذا الاهتمام على اجتماعه مع رسل، حيث ناقشا معاً مسائل تتصل بمعنى النفي، والفصل، والعموم في المنطق، ونظرية الأنماط المنطقية التي اقترحها رسل، ومعنى استعمال المتغيرات في قوانين المنطق، وبدهياته التي لا تقبل التعريف. ويبدو هذا الاهتمام جلياً في رسائل فتجنشتين إلى رسل ما بين ١٩١٢ - ١٩١٣ وفيما أملاه على رسل تحت عنوان (ملاحظات عن المنطق) في العام ١٩١٣[١]، بيد أن هذا الاهتمام تعدّى طبيعة المنطق إلى طبيعة العالم، إلى حد القول إن فلسفة فتجنشتين المبكرة، على نحو ما تبدو في (ملاحظات عن المنطق) ورسالة منطقية فلسفية، جاءت نتاجاً لبحثه في طبيعة المنطق وصلته باللغة والواقع.

وخلافاً لما هو سائد، وربما كان ذلك بسبب طريقة فتجنشتين في التأليف الفلسفي أو بسبب قبول عدد من الفلاسفة تأويل رسل لطبيعة الاختلاف بين فلسفة فتجنشتين المبكرة والمتأخرة على أساس أن فلسفته المتأخرة تتاج هجره البحث في طبيعة المنطق وقصره وظيفة الفلسفة على وصف استعمال تعابير معينة في اللغة العادية.[٢]

خلافاً لهذا، فإن فتجنشتين استمر في محاضراته، واملاءاته، وحواراته الممتدة من ١٩٢٩-١٩٤٤، في بحث العديد من المسائل المتصلة بفلسفة المنطق، وعلى سبيل المثال

---

(١) انظر الأهمية الفلسفية لهذه المقالة في:

Baker, Wittgenstein, pp. 34ff.

(٢) Winch, Studies, p.2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحثه في طبيعة القضايا، ومفهومي الصدق والكذب، والعموم والثوابت المنطقية، وماهية كل من المعادلات وتحصيلات الحاصل والصلة بينهما، ومفهوم الاثبات، والصلة بين التركيب المنطقي وقواعد اللغة، والأهمية الفلسفية التي لقوائم الصدق، وتحصيلات الحاصل وقواعد الاستدلال، واتساق البراهين والميتامنطق. . . الخ[١].

ليس هذا وحسب، فقد تطورت فلسفة فتجنشتين المتأخرة على أساس التعارض بين «الرسالة» في النظر إلى علاقة اللغة بالمنطق والواقع والمعنى والتفسير والفهم، ومواقفه من هذه المسائل في فلسفته المتأخرة، وعلى الخصوص في كتابه «أبحاث فلسفية».

في «الرسالة» يتحدث فتجنشتين عن تمييز جوهري بين ما هو ظاهر، وما هو حقيقي فيما يتصل برموز وبنية اللغة. ويعتقد أن ماهية أي نظام رمزي (لغوي) ليست جلية في قضايا اللغة العادية، وأبعد من هذا، فقد اعتقد أن من المحال الحصول على معرفة حقيقية بمنطق اللغة من خلال اللغة العادية، لأن التخاطب اليومي يقنّع الأشكال الحقيقية للأفكار المعبَّر عنها (انظر الفقرة (٤,٠٠٢). فليس من الواضح -على سبيل المثال- أن معنى (و) في (أ و ب) مختلف تماماً عن معنى (٧) في أ ٧ ب. ولذا يحاجج فتجنشتين بأن امكانية وجود خطاب ذي معنى شأن متوقف على حقيقة كون كل قضية هي دالة صدق للقضايا الأساسية (الذرية)، والأخيرة بدورها مستقلة منطقياً عن بعضها البعض، ومؤلفة فقط من أسماء معانيها كامنة في موضوعات تسميها. موضوعات تتميز بسرمديتها وبساطتها الانطلوجية المطلقة[٢]. ولهذا يوصف منطق فتجنشتين في الرسالة بأنه ذري المنحى، مثلما هو الحال في فلسفة رسل.

بعد عودة فتجنشتين إلى كمبردج في العام ١٩٢٩، قاده تفكيره المسهب، في

---

(١) Baker, Wittgenstein, p. 122.

(٢) (انظر في الرسالة الفقرات: ٣,٠٢٣، ٤,٢٢، ٥,٠٥٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ميادين الرياضة والمنطق ولغة المجال البصري إلى رفض الأطروحة الأساسية (لمنطق الرسالة): ألا وهي الاستقلال المنطقي للقضايا الذرية. قائلاً إن فكرة تحليل القضية «هذه النقطة (نقطة معينة في المجال البصري) هي في الآن نفسه حمراء وخضراء، إلى قضايا أساسية أكثر (أبسط) بحيث نصل إلى تناقض منطقي سيفسح المجال إلى دور لامتناه فيما لو سلّمنا بأطروحة الاستقلال المنطقي للقضايا الأساسية. لأن التحليل سوف ينتج قضايا تعزو درجات مختلفة من الصفة - اللون مثلاً - أو تعزو له أوضاعاً ادراكية (مناظير) مختلفة، ومع أن كل زوج من هذه القضايا سوف يكون متنافراً فإنه لن يوصل إلى تناقض منطقي. ومن هنا يستنتج فتجنشتين أن كل قضية أساسية يجب أن تكون متضاربة مع قضايا أخرى، يجب أن تكون هذه القضايا منتظمة في أنظمة قضايا (Satzsysteme) بحيث يكون كل نسق متضمناً لقضايا يقصي بعضها بعضاً بشكل متبادل. وعلى سبيل المثال: إن صدق القضية (س أحمر) يعتمد على كذب قضايا أساسية أخرى (س أخضر)....الخ. وإذا لم تكن س حمراء فهي خضراء أو.....

إن نموذج هذا النسق -كما فكر فيه فتجنشتين في هذه المرحلة - هو قضايا تسند ألواناً لنقطة معينة في المجال البصري، بحيث يكون عزو صفتي الحمرة والخضرة في الآن نفسه لموضوع معين ممتنعاً، اعتماداً على المكان المنطقي للألوان، أي اعتماداً على قواعد استعمال كلمات الألوان. إن الاستبعاد المتبادل للألوان هو، كما يعبّر فيلسوف معاصر، كان قد فُهم من قبل فتجنشتين باعتباره قاعدة أولية للخطاب الخاص بالألوان وليس مبدأ نسوغه باللجوء إلى شيء أساسي أكثر. فكل نسق يحوز قاعدة استبعاد متبادل بين قضاياه (على سبيل المثال: الحجوم والأعداد والسرعات... الخ)[1].

خلاصة القول: اعتقد فتجنشتين في «الرسالة» بمنطق ذري يقبع خلف الممارسات

---

(١) Baker and Haker, Wittgenstein, p. 117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغوية المعتادة، كما اعتقد في العام ١٩٢٩ أن اللغة تنطوي على منطق نسقي، بحيث يناط معنى الكلمة بقواعد استعمالها في نسق معين. غير أنه لم يلبث أن عدّل موقفه هذا بصورة جذرية، ومرة أخرى يكون تصوره للعلاقة بين اللغة والمنطق، (ومفاهيم قريبة الصلة بهما) حاسماً في بلورة موقفه هذا، والذي يتجلى في كتابه أبحاث فلسفية». فكما سنوضح -على نحو مفصل في الفصل الثاني- فإن النظر إلى اللغة، والمنطق الذي تجري عليه، باعتباره شيئاً شبيهاً بنسق قواعدي صارم، مستقل بذاته، وقادر على تحديد المعنى باستقلال عنا، هو نتاج مرض عقلي، أملته علينا الصورة الميكانيكية للغة[1].

لا شك أن اللغة موجهة بقواعد، غير أن هذه القواعد تبقى معلقة في الهواء - على حد تعبير فتجنشتين - ما لم يوجد سياق، أو ممارسة لتطبيقها على نحو دون آخر.

يكشف تشبيه فتجشتين اللغة باللعبة، وتحديداً بلعبة شطرنج طبيعة هذا الفهم الأخير للمنطق، حيث نرى أن التشابه الظاهري للكلمات يقابل التشابه الظاهري لقطع الشطرنج، مما يوحي لنا بشكل مضلل بأن معنى الكلمة هو شيء آخر، شيء مستقل عنها.

وثانياً فإن هذا التشبيه يلفت نظرنا إلى التأليفات الممكنة لبيادق الشطرنج كما هو الحال مع الكلمات وانتظامها في مواقع مختلفة من الجمل. وثالثاً يستثمر فتجنشتين هذا التشابه ليقول إن استعمال كلمة ما في عبارة معينة يشبه استعمال البيدق عند تحريكه، إن قوة الكلمة والبيدق يكمنان في الاستعمال (في الجمل والحركات). والشيء الأهم من كل ما سبق، هو أنه لما كانت قطعة الشطرنج ذات معنى فقط في سياق حركة ما، والحركة تعد حركة حقيقية فقط إذا كانت ضمن اللعبة، فإن الكلمة لها معنى في سياق الجملة، والجملة هي جملة حقيقية إذا كانت جزءاً مما ندعوه لغة أو لعبة لغوية.

---

(١) انظر في هذا البحث الصفحات: ٢٢ - ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واللغة ضرب من الممارسة، ضرب من اتباع القواعد والذهاب في استعمالها هذا الاتجاه أو ذاك، وهذا يجعلها مستقلة منطقياً عن الحالة الذهنية لمن يستعملها، تماماً مثلما أن معرفة كيف نلعب الشطرنج، تعني معرفة قواعد اللعبة والغرض منها (الفوز) وليس أي حالة سيكولوجية[١].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

---

(١) Baker, Wittgenstein, pp. 90 - 91.

الأهمية الفلسفية للرسالة

تفهم «رسالة» فتجنشتين على نحو أفضل لو نظرنا إليها في ضوء الانتقادات الجذرية التي وجهتها إلى كل من فريجة ورسل ومن نهج نهجهما، وعلى الخصوص فيما يتصل بالأسئلة الأساسية لفلسفة المنطق: صلة المنطق باللغة، الاختلاف بين القضايا التجريبية وقضايا المنطق[١].

ورغم أن رسالة فتجنشتين كانت مرجعاً أساسياً لأعضاء حلقة فينا، لاحظ أن هذه الحركة ازدهرت بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ في حين نشرت الرسالة في العام ١٩٢١، إلا أن هناك فروقاً أساسية بينهما، أهمها اطلاقاً اعتقاد فتجنشتين أن الصلة بين القضية والواقعة التي تشكل معناها، هي صلة مفهومية. لكن ذلك أمر مستقل عما إذا كانت هذه القضية صادقة أو كاذبة، إن معنى الجملة ليس معتمداً على قيم صدقها، بل على معرفة الأشياء المرتبطة بالأسماء المكوِّنة لها، ولكن ليس عما إذا كانت الأشياء في الواقع منتظمة على النحو الذي تعبِّر عنه القضية[٢]. بصورة أخرى فإن معنى القضية يعتمد فقط على ارتباط مكوناتها من الأسماء بالأشياء التي تسميها وفهم شكل هذا الارتباط، وكل شيء آخر لا صلة له بمعناها، وتحديداً فإن معناها مستقل عن منهج اختبارها، وعن الأسس التي تجعلنا نعزو لها قيمة صدق[٣].

لا شك أن تاريخ الفلسفة يقدِّم شواهد زاخرة على التفكير الفلسفي المرتكز إلى حجج لغوية، وعلى سبيل المثال لجوء سقراط وأرسطو إلى تعريفات واضحة أو إلى تمييز ما يمكن قوله عن شيء ولا يمكن قوله عن شيء آخر لغرض الوصول إلى ماهية العدالة

---

(١) انظر بالتفصيل: Baker, Wittgenstein, p. 34f and 70f.

(٢) انظر في الرسالة الفقرات (٤٫٠٠٢٤ ، ٤٫٠٠٦١).

(٣) Baker and Hacker, Wittgenstein, p. 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحقيقة والحرية والجمال. . . كما أن هذا التاريخ زاخر بمحاولة البحث عن طبيعة العقل أو التفكير أو الأشياء المفكَّر بها كموضوعات فوق لغوية، يمكن فيه للغة أن تكون هادياً، ولكنها قد تكون أداة متقلبة وقد تقنِّع الحقائق التي تقبع خلفها.

أضف إلى ما سبق، أن المناطقة في سعيهم إلى فهم طبيعة المفاهيم، والحجج، وطبيعة الاستدلال، اعتمدوا على أنواع الكلمات وأشكال الجمل والصلات التي يمكن أن تقوم بينهما.

غير أن هذا الاهتمام باللغة، وبناء حجج لغوية بالمعنى السابق، ورؤية نحو اللغة وبنية الجملة بوصفها مفاتيح غنية لمعرفة طبيعة الفكر هو شيء، والقول إن اللغة تزودنا فعلاً بموضوع الفلسفة الأساسي - أو حتى الموضوع الوحيد لها - هو شيء آخر. ولا ريب في أن الاعتقاد بأن اللغة لا تقدم أدوات لحل العديد من المسائل الفلسفية فحسب، بل هي أداة ومرام التحليل الفلسفي هو اعتقاد حديث نسبياً.

وكما لاحظ فلاسفة معاصرون، فإن هذا التحول في فهم وظيفة الفلسفة باعتبارها دراسة لمنطق اللغة، يرتبط بالتأملات الفلسفية الناتجة عن اكتشاف المنطق الرياضي المعقَّد في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين على أيدي فلاسفة رياضيين مثل بول Boole وفريجة Frege ورسل ووايتهد Whitehead.

لكن هذا التحول يمكن أن يؤرخ له بدقة مع نشر فتجنشتين لمؤلفه الشهير: رسالة منطقية فلسفية، في العام ١٩٢١[١].

٤٨٠٦١١

وفي هذا العمل يحاجج فتجنشتين بأن البنية العميقة لأي لغة تماثل نسقاً منطقياً شكلياً. ويمهد الطريق نحو تفسير مواضعاتي conventioanalist مبتكر وصارم للحقيقة

---

(١) Baker and Hacker, Language, p. 1 - 2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنطقيـة، ويرد الضرورة المنطقيـة، إلى مجرد (مواضـعات) لكيفيـة استعمـال الرموز[١]، وفي مؤلفه هذا، اعتقد فتجنشـتين أن الدور الوحيد للفلسفة هو توضيح الجمل في اللغة العادية عبر التحليل المنطقي، وإقصاء أشباه الجمل (وخصـوصاً الميتافيزيقية منها) بوصفها خرقاً لمنطق اللغة[٢].

يقول جوردن بيكر: «هـناك سمات جوهرية للرموز وللشيء المرمَّز. هناك، مثلاً، اختلاف جوهري بين القضيـة والاسم. الاسم لا يمكن أن يمثل واقعة، والقضية لا يمكن أن ترمز إلى شيء كما تقول الفقرات (٣ر٢٢١ و ٣ر١٤٢).

وبالمقابل، هناك اختلاف ميتافـيزيقي بين الشيء والواقعة. فالواقعة يجب أن تكون مؤلفـة من أشياء، وبالـتالي فهي ليـست بسيطة (الفـقرة ١٠٠١). هناك سـمات أساسـية للرموز كما أن هناك سمات أساسية للأشياء التي يتم تمثيلها. فالرموز لها سمات تستحقها وحدها، وعلى سبيل المثال، القضية يجب أن تكون واقعة، وإلا فإنه لا يمكن أن تمثل أو تعبِّر عن أي فـكرة. فلا شيء يمكنه غـير الواقعـة أن يقول لنا إن شـيئاً مـا هو على هذا النحـو أو ذاك. . . . إن الفكرة الأساسيـة للرسالة هـي أن الطبيعـة الجوهرية للغـة يجب بشكل تام أن تطابق (تقبض على) جوهر الأشياء الممثلة. والسمات المفهومية للرموز تمثل السـمات الجـوهرية للأشيـاء، كمـا أن الصلات المـفهـوميـة (بين) الرموز تعكس مـا هو جوهري بين الأشياء الممثَّلة. ومن هذا المنظور الفلسفي نتحدث نحن عن وجود هوية أو مطابقة (في الشكل) بين اللغة، بين الأفكار المعبَّر عنها، والأشياء التي يتم تمثيلها»[٣].

---

(١) ما إذا كانت «الرسالة» تتبنى موقفاً كهذا، انظر الفصل السادس من دراسة جوردن بيكر: فتجنشتين، فريجه وحلقة فينا المثبتة في مراجع ومصادر هذه الدراسة.

(٢) انظر الفقرة (٤،٠٠٣١) في الرسالة، والملاحظات القيمة بهذا الشأن في:

Baker, Wittgenstein, p. 97 - 87.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي «الرسالة» أيضاً، تميز فتجنشتين عن أسلافه (رسل وفريجه ومن لفّ لفّهم) في اعتباره المنطق دراسة للمكونات الأساسية (أو الصورة العامة لأي نظام لغوي وليس دراسة لموجودات فوق لغوية (مجردة) أو لقوانين الفكر). فالشاغل الأساسي للرسالة هو السؤال التالي: ما هي الشروط الضرورية لوجود نظام تمثيل على الإطلاق؟، وبهذا وخلافاً لأسلافه فقد اعتقد أن اللغة العادية - وكأي لغة - ذات نظام منطقي سديد (انظر الفقرة ٥٥٦٣ر٥) بدون أن يعني هذا بالطبع أنها تخلو من العيوب، أو أشباه الجمل، لأنه يعني فقط أن ما تقوله اللغة، تقوله بوضوح، ليس هناك نقطة تتوسط بين التعبير عن المعنى، وبين أشباه القضايا خالية المعنى، فالجمل الحقيقية للغة العادية ذات منطق سليم. أضف إلى ذلك أن منطق اللغة شيء يتم إظهاره عبر التحليل وليس لغة (مثالية) محسنة كما اعتقد رسل وفريجه[١].

إن جوهر التمثيل (اللغة) هو الوصف أو التصوير. أي تصوير واقعة بوساطة القضية، وما إذا كان هذا الوصف قد استعمل لإثبات أن الأشياء هي كذا أو كذا، أو يستعمل للشك والاستفهام بأن الأشياء هي كذا أو كذا، أو الطلب بأن تكون الأشياء... الخ. هذه الاستعمالات لا صلة لها بالمنطق، لأن الأخير يهتم فقط بالقضية غير المثبتة unasserted proposition [٢].

أو بمعنى آخر، ليس المهم هذه الاستعمالات، بل ما يجمع بينها جميعاً وهو القضية التي بها يتم تمثيل الواقع.

عندما نصف حالة الأشياء في الواقع بوساطة القضايا، المفهومة هنا من قبل فتجنشتين بوصفها جملاً ذات معنى، وليست موجودات مجردة أو أشياء ذهنية، عندما

---

(١) Baker and Hacker, Language, p. 39.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفعل ذلك فإن أبسط قضية ممكنة يجب أن تمتلك كل السمات الجوهرية المطلوبة للوصف، أو التمثيل. من هنا كانت البداية في بحث الطبيعة المنطقية للقضية الأساسية (الذرية)، وهي تلك القضية المستقلة منطقياً عن كل القضايا الأساسية الأخرى، بحيث يتعذر اشتقاق نتائج منها، لأنها مجرد وصف (تصوير) لواقعة ذرية. وكما اعتقد فتجنشتين أن وجود أسماء لا تقبل التعريف شأن ضروري لوجود لغة على الإطلاق، كذلك هو الحال مع القضايا الأساسية. فلو لم تكن القضية الأساسية صورة تُظهر معناها، أو الواقعة المطابقة لها مباشرة، لكان صدقها يعتمد على قضية أخرى، قضية تخبرنا أن القضية الأولى تصور فعلاً واقعة... غير أن القضية الأخيرة تحتاج بدورها إلى قضية غيرها وهكذا.... مما يفضي بنا إلى دور منطقي، ويجعل المعنى محالاً.

الفكرة الأخيرة هي جوهر ما عُرف في فلسفة فتجنشتين المبكرة بمبدأ تحدد المعنى determinacy of sense [١].

اعتقد فتجنشتين بناء على المبدأ السابق أن كشف طبيعة القضية الأساسية سيبيِّن ماهية الوصف (التمثيل). وذلك لأن ما هو أساسي للوصف هو كل ما يجعل تصوير واقعة ما في العالم أمراً ممكناً. وبالمقابل فإن السمات التركيبية، وهي طرق انتظام الأشياء في وقائع، والتي تحوزها الوقائع بفضل قابليتها للوصف مطلقاً، هي ذاتها الشكل الجوهري للعالم.

وفي نظر عدد من الفلاسفة، فإن اعتقاد فتجنشتين في الرسالة بوجود تطابق بين جمل تامة التحليل، وبين الواقع، وهو الاعتقاد ذاته بوجود صلة مفهومية بين القضية بوصفها صورة وبين الواقعة التي تصورها، هذا الاعتقاد غير مسبوق في تاريخ الفلسفة.

---

(١) انظر حول هذا المفهوم: Hanfling, Wittgenstein's, pp. 37 - 39.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيد أن الهوة الحقيقية التي تفصل فتجنشتين عن أسلافه تبدو واضحة في تحليله للقضايا المركبة والذي نجم عنه تصورات جذرية بشأن المنطق والحقيقة المنطقية ومفهوم الضرورة. فالفكرة الأساسية للرسالة تكمن في اعتبار الثوابت المنطقية (الروابط المنطقية، الأسوار، العلامة الخاصة بالهوية) مختلفة تماماً عن الأسماء وذلك من حيث أنها لا تُمثّل شيئاً (الرسالة، الفقرة ٢٣٤١ر٥).

وكما يظهر من فقرات الرسالة (٢٣٤١ر٥ و ٢٥ر٥ و ٤ر٥) فالثوابت المنطقية ليست أسماء لموضوعات منطقية، كما اعتقد رسل وفريجه؛ وذلك لأنها تشير إلى إجراءات، أو عمليات بها نكوّن قضايا مركبة. ولما كانت ماهية القضية الذرية هي في صدقها أو كذبها فإن تأليف القضايا بوساطة الثوابت المنطقية يظهر توزيعاً معيناً لقيم الصدق المحتملة بين هذه القضايا المكونة للقضية المركبة. لهذا، وعلى سبيل المثال، فإن (أ ٨ ب) هي قضية صادقة إذا كانت (أ) و (ب) قضيتين صادقتين. أما (أ ٧ ب) فتصدق إذا صدقت كلتا القضيتين، أو واحدة منها[١].

يرتبط بفهم فتجنشتين للثوابت المنطقية عدد من التصورات المهمة لعل أبرزها اعتبار القضايا المنطقية تحصيلات حاصل، لا تقول شيئاً عن الواقع ولا عن السمات الجوهرية للغة والواقع، كما أنها صادقة بالضرورة ويمكن معرفة صدقها من السمات الجوهرية للرمز المكوّن لها (من جدول صدقها) وهذه الحقيقة هي كل أو جوهر فلسفة المنطق كما يقول فتجنشتين[٢].

---

(١) Baker and Hacker, Language, p. 42.

(٢) انظر الفقرات (٦ر١١٢، ٦ر١٣، ٦ر١٢) وانظر شرحها في:

Baker , Following, p. 71f.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخيراً يجب أن نشدد ونذكر بأن الاعتقادات الأساسية لرسالة فتجنشتين من نوع: ضرورة وجود أسماء بسيطة تشير إلى موضوعات، وضرورة وجود قضايا تصور وقائع بحيث تكون القضايا ذاتها وقائع، وكون الثوابت المنطقية معطاة في جوهر اللغة من حيث هي إجراءات لتحليل أو بناء القضايا، وكذلك باعتبارها حداً لامكانات صدق القضايا المكونة لها وبياناً لطبيعة العلاقات المفهومية بين القضايا وكون القضايا المنطقية تحصيلات حاصل. . .الخ هذه القضايا هي اعتقادات ميتافيزيقية تخص السمات الجوهرية للغة والواقع وما يمكن أن يُرى ولا يقال وهي بدون معنى[٣].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

---

(١) انظر الفقرات ٦ر٥٣، ٦ر٥٤ في الرسالة، وبياناً أوسع في:

Baker and Hacker, Language, p. 83f.

الفصل الثاني
حجة اللغة الخاصة: تمهيد عام

وظيفة الفلسفة في الأبحاث:

يرتبط تصور فتجنشتين للفلسفة -سواء تعلق ذلك بدورها التقليدي الذي يرفضه أم بما يدعو إليه - بآرائه حول اللغة أو «المعنى والفهم» ارتباطاً وثيقاً. والملاحظات التمهيدية التالية تحاول أن توضح بأي معنى يكون ذلك. كما أنها تهتم بإبراز طبيعة الحجج الفلسفية التي يستعملها فتجنشتين ضد نموذج اللغة الخاصة والموضوعات ذات الصلة به.

إنّ امتلاك مفهوم ما يعني لفتجنشتين قدرتنا على استعماله على نحو ما نجد أنفسنا نستعمله. إن امتلاك مفهوم «الألم» - على سبيل المثال - يعني أن تتوافر لدى الفرد القدرة على استعمال هذه الكلمة - أو ما يقوم مقامها في اللغة - وتطبيقها على حالات كافية توصف ضمن شروط عامة وقابلة للإختبار بأنها حالات خاصة بالمفهوم السابق، ففي حالة مفهوم كالألم، يجب أن نعرف أنه ينطبق على الإنسان وكل كائن آخر يتصرف مثله، وأنه يرتبط على نحو أساسي بسلوكيات طبيعية للتعبير عن الإحساس بالألم، ويؤدي وظائف اجتماعية محددة كلفت النظر والرجاء والعطف والتظاهر.. الخ.

أن نعرف معنى كلمة ما أو مفهوم معين هو أن نتمكن من معرفة قواعد استعماله في اللغة: بأي مفاهيم يرتبط. والأمثلة على ذلك كثيرة. يقول فتجنشتين: نحو الكلمة «يَعْرف» مرتبط على نحو واضح ومُحكم بمعنى «يمكن» و «يقدر»، لكنها أيضاً ترتبط على نحو أساسي بـ «يفهم» (حيازة أسلوب أو مهارة) (١:٥٩). والكلام الأخير تأكيد لملاحظة فتجنشتين المبكرة في الفقرة (٤٣): «معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة»[١].

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, pp. 20 - 21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما ينبني على الكلام الأخير هو بالضبط أن معرفتنا المفهومية معرفة لغوية على نحو أساسي، لأنها لا تتجاوز الممارسة الفعلية لاستعمال العلامات. كما يعني ذلك أن الفلسفة بوصفها بحثاً مفهوميا أو قواعدياً، كما يصفها فتجنشتين أحياناً، لا يجب أن تدّعي البحث مباشرة - دون النظر في اللغة - في طبيعة الأشياء أو الجواهر والكليات كما في خطاب الفلسفة الميتافيزيقية أو أن تفترض أن المعرفة الفلسفية معرفة من نوع خاص: معرفة متسامية تتوقف على بصيرة خاصة... البحث الفلسفي يجب أن يهدف إلى البحث في المفاهيم وارتباطاتها وكما يتم التعبير عنها في اللغة. يقول فتجنشتين: «نحن لا نحلل الظاهرة (الفكر مثلاً) بل المفهوم... وبناءً عليه نحلل استعمال الكلمة[١]. وفي فقرة أخرى يشير إلى خطأ البحث عن نظام متعال super-order بين مفاهيم العالم والحقيقة والبرهان والخبرة بوصفها مفاهيم متعالية super-concepts، والبحث - بدلاً من ذلك - عن استعمال هذه الكلمات في اللغة. فإذا كان للمفاهيم السابقة - على حد تعبيره - أن تكون ذات معنى فيجب أن يكون استعمالها متواضعاً تواضع الكلمات: طاولة وباب وقنديل[٢]. أما ادّعاء الفلسفة بأن التحليل والفهم يتوجهان إلى الظاهرة - جوهر الأشياء - أو مباشرة إلى طبيعة الشيء كما يسميها المفهوم فيتعارض حتى مع طبيعة استعمالنا لمفاهيم اللغة. عندما نسأل ما «التفكير»؟ فهل هناك شيء أو عملية جوهرية تسميها هذه الكلمة، أو المفهوم؟. إذا كان باستطاعتنا كشف ذلك مباشرة يقول فتجنشتين في الفقرة (٣١٦): «دعنا نتابع أنفسنا بينما نقوم بعملية التفكير، ما نلاحظه سوف يكون ما تعنيه الكلمة... ثم يعلق على ذلك بأن مجرد النظر إلى «شيء» والنطق بالكلمة أو تركيز الانتباه الذهني على هذه العملية لن يجعلك قادراً على معرفة ما تعنيه، كما هو الحال حين تطلب من شخص لا يعرف شيئاً

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 118.

(٢) المرجع نفسه، الفقرة ٩٧، ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن لعبة الشطرنج أن يعرف معنى «إماتة الملك» بمجرد النظر إلى الخطوة الأخيرة في لعبة شطرنج»[١].

تهتم الفلسفة كما يؤكد فتجنشتين في أكثر من فقرة- وعلى سبيل المثال الفقرات (٩٠، ٩١، ١١١، ١٢٢)- بالفهم وبشكل جوهري. وتحديداً بإزاحة التشوشات المفهومية، وما ينشأ عنها من مشكلات، ومواقف فلسفية، عن طريق تقديم وصف أو شرح صحيح لمفاهيمنا، والتخلص أيضاً من الاستعمالات والأفهام الخاطئة لكيفية عمل اللغة. ما ينشأ عن هذا الدور للفلسفة يرتبط - كما يظهر في الفقرات (٢٠٩ وما بعدها)[٢]، باعتقاد فتجنشتين أن فهم معنى علامة ما، أو مفهوم معين، لا يعني أكثر من وصف استعماله الصحيح. ومثلما لاحظ جوردن بيكر Baker فإنّ هذا الموقف إزاء الفلسفة نابع من موقف فتجنشتين إزاء العلاقات المفهومية الكامنة بين مفاهيم أساسية هي المعنى والفهم والتفسير. فالفهم هو ما يلازم التفسير. محتوى الفهم (أي معنى التعبير) لا يمكن أن يتجاوز الممارسة المتعلقة بتفسير هذا التعبير. ومعنى الكلمة ليس أكثر مما يتم تفسيره عند تفسير استعمالها، كما أن التفسيرات العادية للمعنى - وهي ذات أشكال ووظائف متعددة - هي القيمة الفعلية له. ولما كانت التفسيرات قواعد للاستعمال الصحيح للكلمات، موضوع التفسير، وكان الفهم - فهم تعبير ما - يعني معرفة كيف يُستعمل فإنه من الواضح أن الفهم يفترض معرفة الكيفية التي نفسر بها الكلمات. وهذه الكيفيات إما أن تكون أمراً مسلماً به، أو أنه ينظر إليها باعتبارها جزءاً من الممارسة الفعلية للغة أو للدقة شيئاً تظهره الممارسة الفعلية الصحيحة للتفسير[٣].

النتيجة الأخيرة هي وراء رفض فتجنشتين أن تكون الفلسفة نظرية تزود اللغة أو

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٤.

(٢) Wittgenstein, Philosophical, pp. 83 - 84.

(٣) انظر: Baker, Following, p. 83f.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى بتفسيرات، أو أسس تجاوز ما يتم الكشف عنه في الممارسة اللغوية ذاتها. وأن تقصر نفسها على الوصف[١]. بمعنى أن لا تبحث عن أسس تقع خارج اللغة وتفسر المعنى بشيء غيره. كأن تبحث عن أساس اللغة أو المعنى في العقل أو ما يظهر للخبرة الخاصة أو في نوع من الموضوعات الميتافيزيقية - كالتي افترضها فتجنشتين في الرسالة واعتبرها جوهر العالم - أو في تصور معين لاستعمال اللغة كما نلاحظ في اعتقاد الوضعي المنطقي بمبدأ التحقق التجريبي.

المنهج الفلسفي ومصادر الوهم:

إن اعتقاد فتجنشتين بأن المشكلات الفلسفية أوهام ناشئة عن كيفية معنية في بناء اللغة أو تصور استعمالها، لا يعني أن اللغة من حيث هي مستقلة عن استعمالها الفعلي وعن الميول والسمات الطبيعية أو التاريخية للإنسان - هي ما يسبب ظهور هذه الأوهام، كما لا يعني أن الأسئلة المفهومية من نوع: ما اللغة أو القضية أو الزمان أو المعرفة... الخ عديمة القيمة. إن طريقة صياغة الأسئلة المفهومية كما في هيئتها السابقة هو ما يوحي إلينا بأن هناك مجالاً للبحث عن «أشياء» جوهرية تطابق المفاهيم السابقة، وأن المشكلات التي قد تنشأ في أثناء هذا البحث هي مشكلات حقيقية تحتاج إلى مزيد من النظر الفلسفي.

ما من شك في أن الأسئلة السابقة إن تم وضعها على نحو صحيح - بالبحث عن استعمالها في اللغة أو عما نفعله بها في ممارستنا الفعلية - تظل أسئلة مفهومية ولا تتحول إلى أسئلة تجريبية، بمعنى أنها تخص الأغراض الأساسية للمفاهيم واستعمالها. دون أن يعني ذلك أن هناك فاصلاً مطلقاً بين الأسئلة التجريبية والأسئلة المفهومية.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, pp. 47 - 49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالفاصل الذي ينشأ بينهما يُحدد في ضوء انتمائهما إلى شكل أو لعبة لغوية معينة[١]. فالصيغ اللغوية التي تعبّر عما هو مفهومي لا تصْدُق بسبب معرفة تجريبية بل بسبب الاتفاق في استعمال اللغة، وعلى الرغم من أن هذا الاتفاق يشكل الإطار المفهومي الذي يجعل المعرفة التجريبية ممكنة إلا أنه يتحدد جزئياً بها.

عندما ننظر إلى مصادر المشكلات الفلسفية وارتباطها بعلاقات شبه عائلية، وإلى الطرق المتنوعة التي يتبعها فتجنشتين للتصدي لها، فإنه لا مجال للاعتقاد بأن هناك شكلاً أو طبيعة معينة للمشكلة الفلسفية ولأسلوب حلها. هذا هو معنى اعتقاده أن بحثه لتبديد هذه المشاكل لا يمثل منهجاً فلسفياً واحداً (المنهج الفلسفي) بل مناهج مختلفة مثل العلاجات المختلفة[٢].

فعندما تكون التناظرات اللغوية أي التشابه في وظائف المفاهيم أو اللغة مضللة لنا، علينا أن نواجهها أو نواجه تأثيراتها بوصف قواعد تركيب المفاهيم، أو باختراع استعمالات جديدة لتوضيح السمة الاتفاقية (العرفية) للغة وفهمها. وعندما يبدو شكل التمثيل - أي الشكل اللغوي لتأويل الخبرة - صحيحاً بشكل تام ومطلق، فإن علينا أن نتخيل تغيرات شديدة تصيب التاريخ الطبيعي للبشر وتُغيِّر شروط استعمال مفاهيمنا بشكل جذري. وحين يعطينا الصور المتجسدة في لغتنا تصوراً مشوشاً عن شكل لغوي ما فإنه يتوجب علينا أن نفحص استعماله في ظروف متنوعة ونشيد لعباً لغوية اصطناعية بوصفها موضوعات للمقارنة كي ندرك أننا نتعامل مع «مواضعات» وليس مع قوانين طبيعية أو ضرورات ميتافيزيقية. أضف إلى ذلك تذكير فتجنشتين الدائم لنا بأن نكف

---

(١) Petrie, Science, p. 154. See also: Hacker, insight,.21f, 146f.

(٢) Wittgenstein, Philosophical, p. 51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن البحث عن سمات جوهرية لمفاهيمنا، وذلك لأن هذه المفاهيم والموضوعات التي تندرج تحتها قد لا ترتبط إلا على نحو ما يتشابه أفراد العائلة[١].

أما مصادر الأوهام الفلسفية التي يعزو إليها فتجنشتين المشكلات الفلسفية فيمكن أن تختصر - بحسب قراءة بيتر هكر Hacker - وبدون أن يكون ذلك حصراً لها - في خمس نقاط:

١. يميز فتجنشتين بين النحو السطحي والنحو العميق لاستعمال المفاهيم، كما نرى ذلك صريحاً في الفقرة (٦٦٤). ولا يعني هذا بالطبع وقوعه في شرك التصور الفلسفي التقليدي الذي يرى أن هناك منطقاً مثالياً يقبع تحت الاستعمالات اللغوية الفعلية أو الظاهرة للغة على نحو ما سنوضح ذلك فيما بعد. فهو يتحدث عن التصورين العميق والسطحي بوصفهما مجرد صورة لا تحقق بذاتها شيئاً. لأن المحك هو التطبيق الفعلي للغة ولا شيء يمكن أن يميز عن استعمالاتها الفعلية[٢].

يتعلق النحو السطحي للغة بالمقولة أو البنية التركيبية التي تبدو لأول وهلة للكلمة أو الجملة، كأن تكون اسماً عاماً أو اسم علم منطقي أو تعبيراً عن حالة ذاتية وكذا أن تكون الجملة تجريبية أو مجرد تعبير عن قاعدة لغوية... الخ أما النحو العميق فيتعلق بالاستعمال الفعلي للمفهوم أو بكيفية تطبيقه. والوهم ينشأ عندما نفترض تناظراً أو تطابقاً بين النحويين. وبعبارة أخرى، عندما نضع مفهوماً ما أو جملة أو حتى شكلاً لغوياً واسعاً في بنية غير تلك التي ينتمي إليها فعلياً، ففيما يتعلق - على سبيل المثال - بالمفاهيم السيكولوجية وتحديداً بمفهومي «الفهم» أو «المعرفة» - فإننا نلاحظ أن وضع

---

(١) Haker, Insight, pp. 137 - 138.

(٢) Wittgenstein's, Notes, p. 180.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذين المفهومين في عبارة من نوع «ش يفهم ويعرف ق» إلى جانب عبارة من نوع «ش يتألم» ومقابل عبارة ذات موضوع فيزيائي مثل: بيروت عاصمة لبنان، فإن هذا التقابل قد يهيء لنا أن مفاهيم مثل «يعرف» و «يفهم» تقف على نفس المستوى مع «يتألم» باعتبارهما يسميان حالة نفسية أو ذهنية. غير أن هذا مجرد وهم، لأن فئة المفاهيم السابقة متميزة تصورياً عن الأخرى. ويبدو ذلك برؤية ارتباطها المختلف بمفاهيم أخرى، وعلى سبيل المثال بمفهومي الزمان والمكان. فنحن نقول عن الألم إنه شيء يعطى لنا ويأتي فجأة، وقد يتوقف مدة من الزمن ويعود، كما أنه يغير مكانه وشدته، ولا نفعل ذلك مع مفهومي المعرفة والفهم لأنهما على حد تعبير كولن ماكجن McGinn ينتميان إلى فئة المفاهيم المعبِّرة عن نزعات أو ميول dispositional وليس إلى فئة المفاهيم المعبِّرة عن خواطر أو أحداث عرضية occurrent [١].

٢. يكمن المصدر الثاني للأوهام الفلسفية في سعينا الدائم - أو سعي الفلاسفة تحديداً - لتفسير معنى العلامات أو المفاهيم باللجوء إلى عمليات عقلية. وهذا الميل يجد جذوره - جزئياً على الأقل - في سمات فينومينولوجية معينة تتصل بالكلام والسماع والقراءة والكتابة. فهذه النشاطات تشعرنا بالألفة ونحن نتعامل مع لغتنا الأم، حيث تدخل الأصوات غير المنتظمة والكتابة العشوائية في نفوسنا شعوراً بعدم الألفة، مما يجعلنا نميل إلى الافتراض بأن شعوراً بالألفة أو فعلاً قصدياً ذهنياً يصاحب ممارسة اللغة - والنشاط المتصل بها - ضروري لتفسير المعنى أو لتفسير وتمييز العلامات ذات المعنى عن تلك التي لا تعدو أن تكون مجرد أصوات أو حبراً على ورق.

هذا الوهم يمتد ليشمل إمكانية أن نميز البنى المفهومية للكلمات أو حتى معنى الروابط المنطقية باللجوء إلى معان وأفعال ذهنية [٢].

---

(١) McGinn, Wittgenstein, p. 5.

(٢) Hacker, Insight, p. 131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. يعتمد العلم في تفسيره للظواهر على قوانين سببية كلية، كما يعطينا فعلاً أو يكتشف حقائق جديدة. ويُكذّب ما كان يعتبر صادقاً، وهذا ما يجعله تراكمياً. أضف إلى ذلك أنه يتمتع بالسمة الرَّدية: أي رد قوانين محددة إلى ما هو أشمل منها. وتتجلى هذه السمة أكثر ما تكون في محاولة بناء لغة علمية مثالية لتحقيق الدقة والصرامة لتعريفات العلم وتفسيراته، حتى لو عارض ذلك مفاهيم الحس المشترك.

ويبين فتجنشتين في أكثر من مكان - وعلى سبيل المثال الفقرات (٨١، ٨٩، ١٠٩) - أن مشابهة البحث الفلسفي بالبحث العلمي أو رؤية الأخير نموذجاً للأول في وضع الحلول والمشكلات، مع إساءة فهم طبيعة المعرفتين كان - ولا يزال - مصدراً للعديد من الاعتقادات أو النظريات الميتافيزيقية. ومن أمثلة ذلك التفكير في منطق اللغة بوصفه انعكاساً لمنطق يقبع في جوهر الأشياء أو الواقع أو رؤيته نظاماً يأتلف من قواعد لغوية ثابتة تشكل نظاماً قبلياً للواقع وشيئاً أشمل من الفيزياء.

هذا المنطق المزعوم يشكل على حد تعبير فتجنشتين في الرسالة، «البنية المنطقية المشتركة بين اللغة والعالم». وغالباً ما يأخذ شكل لغة مثالية، تتكون من علامات بسيطة على نحو مطلق، وتامة التحليل، وهي تطابق موضوعاتها مباشرة، وإليها يمكن ردّ مفاهيم اللغة كما تظهر في استعمالها الفعلي. يؤكد فتجنشتين هذا المعنى في فقرات متعددة لعل أوضحها الفقرات (٩٠، ٩١، ٩٢)[١]. ويسم مثل هذا الاعتقاد الميتافيزيقي ما يدعى بالفلسفة الذرية.

٤. يحيل فتجنشتين العديد من الأوهام الفلسفية إلى سمات العقل الإنساني. يتجلى ذلك في البحث عن جوهر أو طبيعة ثابتة للأشياء، أو المفاهيم، ومحاولة تأسيس اللغة ومجاوزتها إلى شيء آخر، كالتفكير بأنها مجرد انعكاس باهت وغير مكتمل

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, pp. 42 - 43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للعقل أو للمثل أو لطبيعة الأشياء. كما يتجلى ذلك أيضاً في النظر إلى أنظمة التمثيل التي في حوزتنا باعتبارها طرقنا اللغوية لتأويل الواقع، وكما لو كانت عصية على التبدل وصحيحة بشكل تام؛ وفي ميل العقل الإنساني إلى وضع فواصل أو تمييزات حادة بين الأشياء أو المفاهيم المعبرة عنها، كما بين اللغة والواقع، أو الكلمة ومعناها، وبين العقل والسلوك كما يتجلى ذلك في النقاش اللاحق.

٥. يتمثل المصدر الخامس للأوهام الفلسفية في تلك الصور والنماذج المتجسدة في ممارستنا اللغوية، والتي قد تعزز من خلال التصورات الميتافيزيقية. وهذه الصور عبارة عن طرق محددة في الفهم يبدو أن اللغة تفرضها علينا أو يفرضها التفكير الفلسفي ذاته.

في هذا السياق نتحدث عن الصورة الأوغسطينية أو الذهنية أو الميكانيكية للغة على نحو ما يفصل ذلك النقاش القادم. ولهذه التصورات على حد تعبير فتجنشتين «سمة العمق، فهي عصاب غائر، جذورها عميقة فينا عمق أشكال لغتنا، وأهميتها مثل أهميتها». و «هي تفرض علينا صوراً ومفاهيم أخرى تبقينا مبهورين في أسرها، وغير قادرين على الخروج منها، لأنها تثوي في اللغة وتكرر نفسها أمامنا بعناد»[1].

كيف انبثقت حجة اللغة الخاصة من نص «الأبحاث»:

سبقت الإشارة إلى أن القسم الأول من الأبحاث، والذي يتضمن موضوع هذه الدراسة، يشمل ٦٩٣ فقرة، عبارة عن ملحوظات فلسفية تطول وتقصر حول بحث أو آخر، وتشهد انقطاعات حادة وتداخلات بين الموضوعات وهي كما نبَّهنا فتجنشتين في طبيعة «أبحاثه».

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٧ - ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ في الأدبيات التقليدية التي تدور حول نص اللغة الخاصة، أن الفقرات بدءاً من الفقرة (٢٤٣) وما يليها قد شكلت ولا تزال تشكل مادة الجدل الدائر حول اللغة الخاصة. ويدعى هذا النقاش المقوّض لهذا المفهوم باسم حجة اللغة الخاصة.

لا تشير هذه الحجة إلى حجة مفردة أو مجموعة متضافرة من الحجج ذات المدلول التقليدي، بحيث تتكون من مقدمات تصحبنا إلى نتائج، بل هي تشير إلى طريقة في النظر الفلسفي - وإن كانت تلتمس أحياناً اللاتماسك المنطقي وزيف المقدمات - إلا أن ذلك لا يمثل غرضاً أخيراً لها، غرضاً بحدّ ذاته، بل جزءاً من حجاج أو نشاط يهدف إلى رؤية المشكلات الفلسفية المتعلقة بهذا التصور - أي اللغة الخاصة - باعتبارهما أوهاماً يجب أن تبدد بشكل كامل، ليس عن طريق اللجوء إلى نظرية بل بإعادة ترتيب ووصف ما نعرفه فعلياً.

نالت هذه الحجة كغيرها من القضايا التي تعرض لها فتجنشتين حظاً وافراً من سوء الفهم الذي كان نتيجة، في المقام الأول، لبتر نصوص هذه الحجة عن النقاشات التي سبقتها وعن الأغراض الفعلية التي دعت فتجنشتين لطرح تصور اللغة الخاصة للتحليل والنقد.

ما الأغراض الفلسفية الفعلية التي تروم هذه الحجة، حجة اللغة الخاصة، تحقيقها؟ وإذا كان هذا النقاش ينبني فعلاً، بالمعنى العميق للكلمة، على الحجج السابقة حول المعنى والفهم والتفسير والتعريف الإشاري واتباع القاعدة[1]، فكيف يتم ذلك؟ وثانياً ما الذي أضافته هذه الحجة للفلسفة المعاصرة، ولفلسفة اللغة والعقل على وجه الخصوص؟.

---

(١) Baker and Hacker, Scepticism, p. 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حجة اللغة الخاصة وما سبقها:

واضح أن إجابة السؤال الأول، وينبني عليه الثاني دون شك، لا يمكن أن تتم بدون النظر في صلة الفقرات (٢٤٢ وما بعدها) بالفقرات التي تأسست عليها في المضمون وفي المنهج، أي الفقرات (١-٢٤٢). إن إهمال هذه الصلات يبدو في نظر العديد من الفلاسفة إفساحاً لمجال واسع من سوء الفهم والتأويل لمرامي هذه الحجة. ويضاف إلى ذلك أن فهم بعض الفقرات المتصلة بنقاش اللغة الخاصة - وعلى سبيل المثال الفقرات (٢٥٨، ٢٥٩) - قد تم بدون الاستعانة بالحجج السابقة. ليس هذا فحسب، فإن هذه الصلات هي مؤخراً موضع اهتمام وجدل كبيرين بسبب محاولة عدد من الفلاسفة رؤية «الحجة الحقيقية للغة الخاصة» ثاوية بمقدماتها ونتائجها في الفقرات السابقة للفقرة (٢٤٣ وما يليها). هذا التأويل سيكون مدار نقاش في الفصل الرابع عند معاجة موقف صول كربكي Kripke، وهذا الموقف - كما سنرى - لا يفلت من «بتر» النصوص وحرْف نصوص الحجة عن أغراضها الفعلية.

حجة اللغة الخاصة والفقرات (١ - ١٣٧):

يصنف صول كربكي الفقرات (١-١٣٧)، القسم الأول من الأبحاث، بوصفها نقداً لفلسفة فتجنشتين المبكرة، أي لمؤلَّفه الرسالة. وبالرغم من إدراكه أن هذا النقد موجه لنظرية اللغة في الرسالة، وأنه يرتبط بالتحول في نظرة فتجنشتين للفلسفة. إلا أن ذلك لم يدفعه إلى وصف المضمون الحقيقي لهذه الفقرات لأسباب تفسَّر جزئياً بطبيعة تأويله هو للأبحاث. صحيح أن هذه الفقرات دون الأقسام الأخرى، والتي من الخطأ الظن أنها لا تشكل انتقاداً للرسالة، تؤلف نقداً حاسماً للأسس الفلسفية «للرسالة». ويبدو هذا النقد أحياناً ذا طبيعة تفصيلية لواحد من مباحثها[1]. وصحيح أن فتجنشتين

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, pp. 21 - 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحثنا على رؤية كتابه «الأبحاث» معارضاً «للرسالة»[١]. إلا أن البحث المتروي لهذا النقاش وهذه الفقرات يظهر أنها سجال ضد (نوع) واسع من التفلسف حول اللغة والمعنى والفهم، سجال نقدي يراوح بين فلسفة اللغة وفلسفة العقل والمعرفة. هذه الفقرات نقد لما يدعوه فتجنشتين في الفقرة الأولى من الأبحاث الصورة الأوغسطينية للغة[٢]، ومتضمناتها المفهومية كما سنرى.

إننا لا نجد في أي مكان من «الأبحاث» نقداً نسقياً «للرسالة» كما لغيرها، نقطة بنقطة، لأن طريقة الحجاج الفلسفي هنا لا توجه إلى النظريات والمشكلات الفلسفية بما هي، أي أنها لا توجه لنتاج التفلسف بل إلى أصوله[٣].

وبالرغم من البساطة الأولية التي تظهر بها الصورة الأوغسطينية للغة باعتبارها الكلمات أسماء، معانيها فيما تشير إليه، وعبارات اللغة مركبة منها. إلا أن فتجنشتين يرى هذه الصورة أو جذور هذا التصور للغة متخللاً جزءاً واسعاً من النظريات والافتراضات الفلسفية القديمة والحديثة على حدّ سواء، بالرغم من التباعد والتغاير فيما بينها. فإلى هذا التصور ينتمي نص أساسي لأفلاطون[٤]. كما أن الاتجاهات التجريبية والمثالية تستقي منه كما يظهر مما يقتضيه هذا التصور، وصولاً إلى فلاسفة معاصرين يضعهم فتجنشتين ضمن هذا التصور، أعني آراء كل من فريجه ورسل وفتجنشتين نفسه في مؤلفه المبكر «الرسالة»[٥].

ليس غرض فتجنشتين هنا رد تصورات الفلاسفة المعاصرين بما في ذلك تصوره هو

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. VIII.

(٢) المرجع نفسه، ص٢.

(٣) Fogelin, Wittgenstein, pp. 97 - 98.

(٤) Wittgenstein, Philosophical, p. 21.

(٥) المرجع نفسه، ص ص ١٠- ١٢ و ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للغة في «الرسالة» إلى تصور أوغسطين السابق للغة. فلا شك أن هناك فروقاً أساسية بين تصور أوغسطين للغة وتصور هؤلاء الفلاسفة لها من حيث الفروق في فهم بعض مكونات هذا التصور وصلته بوظيفة الفلسفة. . .الخ. إن الاعتقاد القبْنظري pre-theoritical -على حد تعبير فلاسفة معاصرين - والذي تنطوي عليه الصورة الأوغسطينية للغة والقائل بأن الكلمات هي أسماء بمعانيها تلك الموضوعات التي تسميها، وما يتبع ذلك من اعتبار الجمل مجرد تاليف لأسماء تعمل (بصفتها تصويراً) للوقائع، هذا التصور يشكل في نظر فتجنشتين الشيء الأساسي في بنية النظريات المتعلقة بالمعنى لدى فلاسفة مثل فريجه ورسل ومؤلف الرسالة وكارناب، وبدون شك فإنه سيرى تأثيرها على «النظريات الدلالية الحديثة للغات الطبيعية».[١] ففي نظره، هذا التوجه لبناء نظرية مرتكزة إلى التصور السابق لن ينتج إلا سوء فهم جديد. إن تضايف الكلمات مع الأشياء يبدو مفتاح مفهوم المعنى لأنه يزودنا بالطبيعة الأساسية لمعنى أن يُفهم تعبيرٌ لغويٌ على نحو صحيح. ولكن هذا مجرد وهم. فالفهم متجسد، أو متمظهر في الكلام وفي الاستعمال الذي يؤديه المتكلم، وفي التفسيرات التي يقدمها. إن وصف شخص ما بأنه ربط شيئاً محدداً بالكلمة لا يخبرنا شيئاً بذاته عن الكيفية التي تستعمل بها هذه الكلمة أو كيف يجب أن تُستعمل[٢]. أن يفهم أحدنا معنى كلمة ما هو أن يعرف شروط استعمالها حتى وإن لم يكن هناك ما تشير إليه. وهذه مسألة أساسية لفلسفة فتجنشتين المتأخرة وسنعود إليها في أكثر من مكان.

كيف تنبني حجة اللغة الخاصة على حجة الصورة الأوغسطينية؟ يمكن أن تاخذ الإجابة الشكل التالي: حجة اللغة الخاصة سؤال عما إذا كان من الممكن أن توجد

---

(١) Modern semantic theories of language

(٢) Baker and Hacker. Scepticism. p. 116.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ممارسة خاصة للغة، أو أن النموذج الذهني - سواء اتخذ صيغة التعهد الذاتي أم التفسير أم التعريف الخاص الذي يقدمه المتكلم لذاته - يشكل معياراً يصف كيف تستعمل الكلمة وكيف يجب ألا نستعملها، أو فهمنا هذه الحجة باعتبارها مطاردة لأي تصور يرى أن أسس اللغة خاصة بمعنى منطقي، أي غير قابلة لأن تكون موضع تشارك واختبار من الآخرين حتى نظرياً فإن التصور الأوغسطيني للغة يستعاد في هذه الحجة بشكل قوي؛ لأن المعنى الخاص يتصور هنا بوصفه تضايفاً بين علامة بسيطة (اسماً) وبين موضوع بسيط ينتمي إلى الخبرة الخاصة بالمتكلم، ويتم بوساطة تعريف اشاري ذهني خاص وعبر مفهوم ميتافيزيقي للتشابه.

ولا يستعاد التصور الأوعسطيني بصورته الأولية كما عرضناه سابقاً، بل أيضاً ما يتصل به وما يبدو من لوازمه كالفهم والتعريف (اللغوي والاشاري) ومفهوم التشابه، وفوق ذلك كله تصور محدد لوظيفة الفسلفة. والمختصر التالي للفقرات (١-١٣٧) يوضح هذه الجوانب من الصورة الأوغسطينية كما نستعين بها بشكل مفصل في حجة اللغة الخاصة.

أ. الفقرات (١ - ٢٧):

توضح هذه الفقرات التصور العام للغة كما يقدمه أوغسطين. وتنتقد أطروحتيه الأساسيتين: أي اعتبار الكلمات أسماءً والجمل عبارات مركبة منها وذات طبيعة وصفية. ففي الفقرات (١٠-١٥) تحديداً يُري فتجنشتين إلى أي حدٍّ يمكن أن تؤدي الأسماء وظائف لغوية متنوعة حتى أسماء العلم أو أسماء الإشارة، بسبب كيفية استعمالها. وخطأ النظر الى معنى الاسم بوصفه موضوعاً ما. والشيء نفسه يقال عن الجمل التي يمكن أن تشغل معاني ـ استعمالات ـ متنوعة تبعاً لكونها جزءاً من لعبة لغوية معينة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - (٦٤ - ٨٨):

هذه الفقرات تركز على الفكرة أو المفهوم متبادل العلاقة مع التصور الأوغسطيني، ألا وهو التعريف اللغوي أو التحليل. إن التفسير الصحيح لأي تعبير ليس معرفاً إشارياً بالنسبة لتيار كبير من الفلاسفة يجب ان يأخذ شكل تقديم الشروط الضرورية والكافية لاستعماله الصحيح. فالتعريف اللغوي يجب وعلى نحو منتظم أن يعين السمات المشتركة لكل الموضوعات التي تنطبق عليها الكلمة. ويشير فتجنشتين بدوره الى أن هذه الوثوقية لا تتسق مع ممارستنا الفعلية المتعلقة بشرح الكلمات. نحن نفسر فعلياً تعابير مثل «لعبة» و «عدد» باعطاء أمثلة نموذجية كأن نقول: «الشطرنج» و «التنس» و «لعب الورق» ألعاب لغوية. وهذا الاجراء يقدم تفسيراً صحيحاً، ويعين معياراً لفهم ما تعنيه الكلمة.

د. الفقرات (٨٨ - ١٣٧):

تنتقد هذه الفقرات تصور البحث الفلسفي على أساس أن وظيفته الأساسية تعميق فهمنا عبر النفاذ الى ماهية المفاهيم، أو السمات الجوهرية المشتركة بين الموضوعات التي تندرج تحت المفهوم.

يتحدث فتجنشتين ضد هذا التوجه عن ضرورة تخلي البحث الفلسفي عن تقديم أي نوع من الافتراضات او التفسيرات أو الاسس لتزويد الممارسة اللغوية بها، والعمل بدلاً من ذلك على الوصف المجرد للمفاهيم. فالوصف الصحيح لها يعين المعيار الذي يستعمل المتكلم على أساسه كلمات اللغة على نحو صحيح، أو ينحرف عن هذا الاستعمال. فما يفهم عندما نفهم كلمة ما هو تماماً ما يفسر عند تقديم تفسير لها. والتفسير ليس هو ما يسبب الفهم او يظهره، لأن الصلة بين الفهم والتفسير قواعدية الطابع؛ أن أفهم معنى علامة ما يعني أن أمتلك القدرة على تفسيرها، والمقدرة الأخيرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ الفقرات (٢٨ ـ ٦٤):

تركز هذه الفقرات على التعريف الإشاري، وبوساطته تهاجم واحداً من مرتكزات التصور الأوغسطيني، والغرض من ذلك تقويض اعتبار التعريفات الاشارية أسساً أخيرة للغة.

ففي مقابل التعريفات اللغوية، والتي تبدو جزءاً من اللغة او مندمجة فيها فإن التعريفات الاشارية قد بدت للعديد من الفلاسفة ملاذاً مهماً يصل اللغة بالواقع مباشرة. إن هذا يضخم ـ في الواقع ـ دور هذه التعريفات ويشوه وظائفها. فنحن نعرف كلمة أو تعبيراً بآخر ولكننا نفترض ان التعريفات يجب ان تنتهي عند كلمات ليست بحاجة الى تعريف. فإذا كان تعريف الكلمة ـ معرفة معناها ـ يحتاج الى معرفة معنى كلمة أخرى فإن الأخيرة تحتاج الأجراء نفسه وهذا يستمر الى ما لانهاية. بمعنى أنه إذا كان تعريف الكلمة يعتمد على ما لا نهاية له من التعريفات ـ المعاني ـ فإن ذلك يعني أن فهم المعنى أو معرفته أمر مستحيل، وأن الحصول على معنى أي كلمة في اللغة أمر متعذر.

لقد بدا التعريف الاشاري قادراً على وصل الكلمة بالشيء الذي تعنيه. لأنه ليس من النوع الذي يصل الكلمة بأخرى إذ يبدو أنه يصل، مباشرة، اللغة بالواقع أو الاسم بمضمونه، ولا يقتضي أي معرفة لغوية أو مفهومية سابقة عليه، وهذا يعني أنه لا مجال هنا لأن تكون هذه المعاني المعرفة إشارياً معرضة للخطأ ولسوء التأويل. وحجة فتجنشتين ضد أولية التعريف الاشاري[1] تفند الكلام السابق، وقد غدت جزءاً من تراث الفلسفة الحديث وستكون ذات أهمية قصوى لحجته ضد اللغة الخاصة.

---

(١) انظر في بحثي هذا الصفحة ٤٨ وما يليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي بالضبط معيار فهمي للعلامة اللغوية. وممارستنا الفعلية أو كيف نقدم تفسيرات لاستعمال اللغة ليس شيئاً خافياً عنا ـ عن رؤيتنا لها ـ ينتظر أن يكتشف بوساطة بحث ميتافيزيقي أو علمي.

النقاش حول اتباع القاعدة (١٤٢ ـ ٢٤٢)

تستغرق حجة فتجنشتين بشأن القاعدة ومعنى اتباعها ـ اي حول الطبيعة المفهومية للمعايير أو التسويغات التي تحكم تطبيق علامات اللغة او فهمها ـ الفقرات التي تسبق الحديث عن اللغة الخاصة، اي (١٣٧ ـ ٢٤٢). وهي غير منقطعة الصلة بالنقاش حول التصور الأوغسطيني للغة. فهذه الأخيرة ترى المعنى متوقفاً على وجود قواعد ثابتة تعد أسساً أخيرة لمعنى ما ندعوه امتلاك واحدنا لخطاب ذي معنى وفهمه وتفسيره. وقد رأينا هذه القواعد ماثلة في المطابقة بين الاسم والشيء عبر مفهوم ميتافيزيقي للهوية، وبواسطة تعريف إشاري... الخ، والنقاش حول القاعدة واتباعها يروم أساساً تقويض النظر الى اللغة، والى التلفظ بالجملة أو معناها او فهمها باعتباره عملية حسابية تتم وفق قواعد محددة[١].

لا يعني الكلام الأخير أن اللغة نشاط غير محكوم بقواعد، بل على العكس تماماً. فإن اهتمام فتجنشتين منصب على معنى ذلك. إن لجوءنا الى التفسيرات أو التسويغات المتعلقة بتطبيق المفاهيم او ايضاً القواعد ـ تسويغ القواعد بأخرى ـ ليس من الأمور التي يمكن لفتجنشتين نكرانها، إن ما ينكره هو وجود قواعد مطلقة للغة، قواعد تتجاوز الممارسة الفعلية لها، كما أنه يرفض ضرورة أن نسوغ استعمالنا للغة دائماً

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باللجوء إلى قواعد. وهو يلجأ في الجدل الحالي إلى بيان أن أي عملية لرؤية القواعد قادرة على تأويل ذاتها بذاتها مجرد وهم. ومثلها محاولة تسويغ اللغة أو فئة من قواعدها باللجوء إلى واقع غير لغوي، ذهني أو ميتافيزيقي أو ما شابه، لأن أي محاولة لتأويل اللغة باللجوء إلى شيء غيرها إجراء يفترض اللغة، ولأن الصلة بين مفاهيم اللغة هي قواعدية الطابع، ومحاولة تسويغ المفهوم بغير قواعد استعماله تدمير لهذه الصلة.

لتوضيح المسألة الأخيرة، أي معنى أن توجَّه اللغة بقواعد، وإظهار أن هدف فتجنشتين في هذه الفقرات هو تبديد العديد من الأوهام الفلسفية بشأن القاعدة واتباعها، يمكن وضع النقاط الأساسية لهذا النقاش على النحو التالي:

أولاً: مفهوم القاعدة

في حجاجه المطول يحرص فتجنشتين على تشبيه القاعدة بالأداة من حيث تحدد مضمون كل منها بالاستعمال. القواعد ليست حصراً نوعاً من العبارات التي تحمل طابعاً أمرياً، أو إرشادياً، بفضل تعابير تدخل في تركيبها، ولم تصبح قواعد لذات السبب الأخير. إن أي شيء أو علامة يمكن أن يكون قاعدة، كالأسهم والرسومات واللوحات إذا كان ذا مجال معين من الاستعمال. والقاعدة تعدُّ كذلك لوجود ممارسة تستعمل صيغة القاعدة مهما تكن كتعبير عن القاعدة، وكمحك لما هو صحيح. ولكنّ ذلك لا يعني أن أي ممارسة أو تفاعل مع العلامة يمكن أن ينتج قاعدة، فما إذا كانت مجموعة أو شكل محدد من الكلمات - ربما مع فعل محدد على سبيل المثال: فعل إشارة - وموضوع معين، يمثل كله صيغة لقاعدة فعلية ليس أمراً محتماً بشكل الكلمات، بل بكيفية استعمالها. الإشارة إلى وردة والقول: «تلك حمراء»، يمكن في سياق ما أن يكون عبارة تجريبية، وفي سياق آخر تفسيراً لمعنى كلمة «أحمر»، فاللغة ومفهوماتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدوات[١]. والجملة بغض النظر عن طبيعتها الشكلية أداة يمثل معناها في تطبيقها[٢]. والتعابير ذات الطابع الوصفي أو الأمري أو الاستفهامي ليست موجودات أفلاطونية ولا جملاً ذات سمات شكلية جوهرية، بل جمل ذات أغراض معينة[٣]. وأي علامة أو موضوع يبقى كذلك - أي خالياً من المعنى - ما لم يوجد له استعمال فعلي، أو معرفة بكيفية استعماله. فالعلامة على حد تعبير فتجنشتين في الفقرة (٤٣٢) تبدو ميتة بذاتها، وما يهبها الحياة ليس شيئاً سوى استعمالها[٤].

ثانياً: التصور الذاتي لاتباع القاعدة:

كيف يمكن للقاعدة أن تحدد فعلاً ما بأنه تطبيق لمضمونها؟ أو ما الذي يجعلنا نصف استعمالاً لغوياً ما بأنه يتفق أو لا يتفق مع القاعدة، أي مع تفسيرنا لمعنى الكلمة؟

الإجابة الأولى التي يسهب فتجنشتين في نقاشها اعتقاد يقول بأنه عندما يقوم أحدنا باشتقاق نتيجة ما من قاعدة أو نظام قواعد، أو يطبق مفهوماً على حالة ينطبق عليها ويتولد لديه نتيجة الخبرات الذهنية المصاحبة لهذه العملية إحساس بأنه موجه بالقاعدة فإنه يفكر في هذا الإحساس كما لو كان في أساس ما ندعوه «اتباع القاعدة».

يتضح من ذلك أن هذا التصور يعطي للخبرات الذهنية الذاتية الدور الجوهري في تحديد الصلة بين القاعدة وتطبيقاتها.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 151.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ص ١٠ - ١٢.

(٤) المرجع نفسه، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليست صيغة القاعدة (مجرد الكلمات) هي التي تحدد ما ينسجم مع معناها، عندما آمر شخصاً ما أن يتبع قاعدة معينة، فأنا «أقصد» أن يفعل أشياء محددة في ظروف متعددة، وهذا هو أساس ما يُعدُّ مطابقاً للقاعدة، أو ما يجعل الأفعال التي قصدتُ أن يفعلها جزءاً من القاعدة. وما قصدته ليس سوى المعاني الموجودة في ذهني مسبقاً وبإمكانها أن تهديني دوماً إلى اتخاذ الخطوة المناسبة.

يقول التصور الذاتي بمعنى آخر أن يتبع أحدنا القاعدة ويشتق الخطوات المتعلقة بمضمونها، أو أن يعرف كيف يستعمل على نحو صحيح كلمة ما، يعني أن يحوز اختبارات ذهنية محددة تكون هي ومعنى العلامة شيئاً واحداً. وغالباً ما يشرح فتجنشتين المفهوم الاختباري - التصور الذي يرى أن الخبرة الذهنية ضرورية وكافية لتحديد المعنى - بالإشارة إلى ما يظهر في الذهن من صور أو تخيلات قبل أو لحظة استعمال أو فهم كلمة ما. أن أعني مكعباً بـ «مكعب» هو أن أملك صورة لهذا الشيء في ذهني[١].

يجعل التصور السابق للمعنى طبيعة جوهرية، ويتجاهل أننا رغم قيامنا على نحو طبيعي بشرح تعابير مثل «الحساب» و «الاستدلال» و «اللعب الموجه بقواعد» او أي نشاط مشابه عبر تقديم أمثلة واجراء اختبارات معيارية فعلية توصف بانها تطبيق لهذه التعابير وترتبط بسلوك محدد أو تفاعل معين مع الكلمات إلا أننا نرتاب بشأن كفاية هذه التفسيرات واكتمالها. ونرتاب ايضاً في كونها تنطبق على عائلة من الحالات لا أكثر.[٢] أو قد نرتاب في كون الأمثلة التي نقدمها تستنفد ما ندعوه هنا نشاطاً موجهاً بالقاعدة، وهذا الارتياب يدفعنا الى رؤية النشاطات السابقة كما لو كانت اسماً لعملية ذهنية. ليس

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, pp. 34, 54, 55.

(٢) المرجع نفسه، الفقرات: ١٦٤، ٢٣٤، ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا فحسب فإن ما يبدو لواحدنا قدرة على تنفيذ النشاطات السابقة ربما بالكامل في ذهنه، هي التي تهيء لصاحبها أن اتباع القاعدة عملية سيكولوجية خاصة ولا تقبل التصحيح. فما إذا كان الشخص يتبع القاعدة أم لا مسألة متوقفة على معاييره هو، وما ينطبق على حالته ينطبق على الآخرين.

ينبهنا فتجنشتين في مواجهة التصور السابق الى أن الصور الذهنية التي تصحب استعمال الكلمات أو فهم المعنى ليست سوى خواطر، مجرد صور تظهر للعقل تماماً كصورة شيء فيزيائي، فإذا لم أكن أمتلك مفهوماً عنه، فهل يفرض هو ذلك علي هذا المفهوم؟ بالطبع لا، وهذه الصور لا تشكل شرطاً ضرورياً ولا شرطاً كافياً للمعنى أو الفهم. إنها ليست شرطاً ضرورياً لأن من الممكن لنا استعمال كلمة أو إجراء حساب... الخ على نحو صحيح حتى لو لم توجد في عقولنا أي صور ذهنية من أي نوع. في مثال بالغ الدلالة يدعونا فتجنشتين الى تصور أناس كما يقرأون فقط بصوت مرتفع، بدون نشاط ذهني، يفكرون كذلك[1]. وليست شرطاً كافياً لأن الشيء ذاته يمكن له أن يظهر في ذهن واحدنا عند سماع كلمة معينة ومع ذلك يبقى التطبيق الذي لها مختلفاً «هل لها نفس المعنى في الحالتين؟ اعتقد أنه يتوجب أن نجيب بالنفي»[2].

«افترض صورة فعلية تظهر في ذهنك عند سماع كلمة «مكعب» ـ قل رسمة له ـ بأي معنى يمكن لهذه الصورة أن تطابق أو لا تطابق استعمال كلمة «مكعب»، الاستعمال الممتد في الزمان والمشترك مما نفعله قبل وبعد استعمال الكلمة؟ يقول فتجنشتين: «الأمر بسيط للغاية، إذا ظهرت تلك الصورة وأشرت الى منشور مثلث الشكل على سبيل المثال، وقلت إنه مكعب فهذا الإستعمال لا يطابق الصورة. ولكن

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 107.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هل هو حقاً لا يطابقها؟ لقد استهدفت اختيار هذا المثال حيث يمكن تصور طريقة اسقاط أو فهم method of projection وفقاً لها يمكن للصورة أن تطابقه»[١].

تخيل شخصاً قد تم تكييفه ليضمر صورة عقلية ما عند سماعه كلمة معينة ـ لنقل صورة مكعب عند سماعه الكلمة «مكعب» بحيث أن هذا الشخص لم يكن قد وضع في موقف يستعمل فيه كلمة «مكعب» ليعني مكعباً. وبناءً عليه فإنه ليس في الصورة شيء يخبره أو يطلب منه أن يطبق «مكعب» على مكعبات ولا حتى على أشكال قريبة الصلة (الشبه) به. صحيح أن الصور بشكل طبيعي تقترح علينا التطبيقات، ولكن ذلك واقعة سيكولوجية وليست منطقية: فليس هناك تناقض منطقي في الفكرة التي تقول إن اثنين يمكن لهما أن يفهما الكلمة على نحو مختلف بالرغم من أن الصور التي تظهر في أذهانهم متشابهة[٢].

الكلام الأخير لا يمس مسألة وجود خبرات ذهنية مصاحبة لنشاط الفهم أو معرفة المعنى بل ضرورة التمييز منطقياً بين مفاهيم عرضية تستعمل للتعبير عما يخطر للفرد كالألم والتخيل، وبين مفاهيم نزوعية لا يمكن تطبيقها إلا إذا افترضنا امتلاك أحدنا القدرة على استعمالها على نحو صحيح، وهذه القدرة جزء من نشاط ظاهر وقابل للاختبار من الآخرين من حيث المبدأ.

ثالثاً: التصور الميكانيكي لاتباع القاعدة

افترض أننا قمنا بتدريب فتى ـ أدعه من الآن فصادعاً (ش) ـ كيف يعد الاعداد الصحيحة حتى العدد (١٠٠٠)، وكيف يطبق القاعدة (+٢) حتى (١٠٠٠). ثم طلبنا منه

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 54.

(٢) McGinn, Wittgenstein, p. 7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيما بعد أن يطبق القاعدة (+٢) بعد (١٠٠٠) كتب: ١٠٠٠، ١٠٠٤، ١٠٠٨، . . «قلنا له: «أنظر كيف بدأت السلسلة»: أجاب، أجل، أليست صحيحة؟ اعتقد أن هذا ما قصد إلي أن أفعله، أو افترض أنه أشار الى السلسلة وقال: «ولكنني أكملتها على نحو مشابه». من غير المجدي أن نقول هنا: ألا يمكنك أن تفهم؟ ونعيد عليه الأمثلة القديمة والتفسيرات.

ويقول فتجنشتين: «في حالة كهذه يحسن بنا أن نقول، ربما: لقد بدا طبيعياً لهذا الشخص أن يفهم ما طلبنا منه أن يفعله، والتفسيرات التي قدمناها. مثلما يتوجب علينا أن نفهم أضف (٢) بعد (١٠٠٠) و (٤) بعد (٢٠٠٠) و (٦) بعد (٣٠٠٠) وهكذا.

حالة كهذه تظهر تشابهات مع حالة الشخص الذي يتفاعل على نحو طبيعي مع فعل الإشارة باليد بالنظر في اتجاه الاصبع الى الرسغ، وليس من الرسغ الى طرف الاصبع»[١].

ليس في القاعدة (+٢) ولا في خطوات تطبيقها اي شيء يقول لنا أن نطبقها هكذا او هكذا، كما أن القاعدة لا يمكن أن تفسر فهمنا لها على نحو معين. مثلما لا وجود شيء في السهم يطلب منك ان تأخذ هذا الاتجاه دون ذلك: على طول الطريق او نحو ممر المشاة او عبر القرية او حتى في الاتجاه المعاكس له[٢].

التصور الميكانيكي للغة يوهمنا بأن المعنى - أو التطبيق الصحيح للقاعدة - يجب أن يأخذ مساراً محدداً سلفاً أو قواعد تقوم بدور التوجيه في كل لحظة كأن اللغة أو أنظمة القواعد ماكينات صلبة ليست عرضة للبلى والتمزق، أو للاحتكاك والحركة

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 75.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ٥٩ - ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرة، وهرأ أجزائها.

يقول بيكر: «السهم يمكن أن يوجه ماشياً على طول الرصيف، ولكن ليس بجره نحو عدد غير منظور من الخطوات. إن قدرته على التوجيه مؤسسة على وجود ممارسة. فالسهم سيكون دون معنى حتى يوجد في المجتمع ممارسة فعلية لاتباع العلامات التي تسم الطرقات وتميزها وعندها يكون السهم قد امتلك مساراً، وبذلك يحدد اي طريق نسلك وأيها لا نسلك. وعندما يفصل السهم عن هذه الممارسة فإنه سيكون مجرد موضوع على جانب الطريق. . . .

«نحن لسنا مجبرين على استعمال الأسهم على نحو ما نفعل. ولكن، بالطبع، إذا لم نكن قد طبقنا شيئاً على هذا النحو، فلن يكون صحيحاً دعوته سهماً على الإطلاق، إن اتباع السهم نموذج للتوجيه بدون آلية»[1].

ما يظهره المثالان السابقان هو أن العلاقة بين القاعدة ومداها ليس مبنياً على تأويلها في اتجاه دون آخر. ليس كل ما نفعله عندما نفهم معنى القاعدة، هو أن نتعرف الى شيء او نكتشف شيئاً يوجد هناك في القاعدة، وباستقلال عن سياق فعلي لتطبيقها. لأن القاعدة قد تؤول بما لا نهاية له من التأويلات. وإذا كان أي فعل ـ تطبيق قاعدة ما ـ يمكن أن يتفق مع القاعدة بتأويل ما ويمكن أن يعارضها، فهذا يعني أن التأويلات لا يمكن بذاتها أن تحدد المعنى، كما يعني ضرورة وجود طريقة لتطبيق القاعدة لا تكون هي ذاتها تأويلاً.

يقول فتجنشتين: «كيف للقاعدة أن تريني ما الذي يتوجب عليّ فعله عند هذه النقطة؟ مهما يكن ما أفعله، بتأويل ما، فهو مطابق للقاعدة» ـ ليس هذا ما ينبغي علينا

---

(١) Backer, Wittgenstein, p. 55.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن نقوله، ولكن الأصح أن نقول إن أي تأويل يبقى معلقاً في الهواء مع ما يؤوله، ولا يمكنه أن يوفر له الدعم. التأويلات بذاتها لا تحدد المعنى، كما يقول فتجنشتين في الفقرة (١٩٨).

وفي الفقرة (٢٠١) يقول: كانت هذه مفارقتنا: لا تتابع من الأفعال يمكنه أن يحدد بالقاعدة، لأن أي تتابع منها يمكنه أن يعد ليطابق القاعدة. الرد كان: إذا أمكن أن يعد أي شيء لمطابقة القاعدة، فإنه ايضاً يمكن أن يعد لمعارضتها. ولهذا لن يكون هنا تطابق أو تعارض.

واضح هنا أننا هنا أمام سوء فهم، وذلك أننا في سياق حجتنا نعطي تأويلاً بعد آخر؛ كما لو أن التأويل الواحد منها يقنعنا على الأقل للحظة، الى أن نفكر بتأويل آخر يقف خلف الأول. وما يظهره هذا الأمر هو أن هناك طريقاً لفهم القاعدة لا يكون تأويلاً لها، بل هو ما يتم إظهاره فيما ندعوه «إطاعة القاعدة» و «وعصيانها» في حالات فعلية[١].

ما تظهره الفقرات السابقة بشأن اتباع القاعدة، هو أن التأويل يعني علامة ما أو تعبيراً عن القاعدة وأن تأويل هذه القاعدة يعني تحويلها الى قاعدة أخرى، كأن يشرح أحدنا معنى السهم باستعمال قاعدة أخرى، على سبيل المثال أن يشير باصبعه الى اتجاه السهم، غير أن التأويلات بذاتها لا تحدد المعنى. ففهم معنى علامة ما لن يتحقق بمجرد تحويلها الى علامة أخرى.

ما يقوله فتجنشتين طبعاً ليس أن فهم المعنى لا يتطلب أبداً تحويلاً ـ قل تحليلاً ـ كهذا، بل إن ذلك لن يكون حاضراً على الدوام، لأن التفسيرات ـ القواعد ـ يجب أن

---

(١) Wittgenstein. Philosophical, p. 81.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقف عند نقطة محددة[١].

عندما نشرح معنى الكلمة لشخص ما فإننا نفترض أنه يفهم الكلمات التي نستعملها في تفسيرنا، وأنه لن يكون ممكناً وجود تفسيرات للمعنى إلا إذا كانت كلمات محددة مفهومة بدون تعريف لغوي. فالفهم يجب أن يتأسس على شيء آخر أقل أو أكثر من مجرد ربط علامة بأخرى. وكما أننا لا نختار تأويل قاعدة أو فهمها على نحو ما فإننا لا نرى شيئاً ما بوصفه كذا أو كذا بل بصفته تطبيقاً لمفهوم في حوزتنا. وما تقوله الفقرة (٢٠١) هو أن فتجنشتين يرفض الفكرة القائلة إن فهم أو ادراك معنى القاعدة يكمن في تشكيل افتراض hypothesis حول تأويلها الصحيح كي نتمكن من فهمها، لأن ذلك يسيء فهم السمة التلقائية لاتباع القاعدة، ويفضي الى دور منطقي، أي الى الوضع الذي نجد أنفسنا فيه مجبرين على فهم ما لا نهاية له من القواعد لفهم قاعدة واحدة.

فإذا كان التطبيق الصحيح لقاعدة ما يعني تأويلها بأخرى، فإن القاعدة الجديدة إن كان لها معنى - وقادرة على تسويغ الأولى - فإنها تحتاج هي ذاتها الى تأويل. أو تحتاج الى معرفة كيف نطبقها وهكذا الى ما لا نهاية.

حجة فتجنشتين ضد التصور التأويلي أو للمعنى interpretational conception of meaning كما شرحناه سابقاً تأخذ الشكل التالي: المعنى يثبت الاستعمال الصحيح، لكن التأويلات لا يمكن أن تحدد ما هو صحيح لغوياً، إذن فالمعنى لا يمكن أن يكون تأويلاً[٢]. أما رفض التصور التأويلي من قبل فتجنشتين فيمكن أن يرجع كما اقترح ماجن لسببين: نقد مشروع التحليل كما رسمه كل من رسل وفتجنشتين في

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 1.

(٢) McGinn, Wittgenstein, p. 17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلسفته المبكرة والمرتكز على وجود لغة مثالية ترتد إليها اللغة العادية. حيث التحليل يكمن بدقة في ربط العلامات بأخرى، والتعريفات ليست شيئاً سوى استبدال علامة بأخرى، وهذا التحليل يرتكز الى وجود مستوى عميق للغة، قواعده الدلالية واضحة وليست بحاجة الى تفسير، أي أنه يفترض وجود مستوى من العلامات ذاتية التأويل self - interpreting signs .

والسبب الثاني الذي وراء نقد فتجنشتين للتصور التأويلي للمعنى يكمن في اتصال المفهوم الأخير بمفهوم آخر يقول إن المعنى يكمن في صورة ذهنية تظهر للعقل. والارتباط يبدو ذا اتجاهين: التأويل - مثلاً صيغة جبرية - هو شيء يظر للعقل وهو لذلك معرض للانتقادات التي سردناها ضد التصور الذاتي لاتباع القاعدة. والثاني أن ما يظهر للعقل له الوضع المنطقي للتأويل، بمعنى أنه مجرد علامة لا تؤول ذاتها بذاتها، أو بعبارة أخرى تفتقر للسمة المعيارية التي للمعنى: ما يعد تطبيقاً صحيحاً لها وما لا يعد.

رابعاً: ابستمولوجيا اتباع القاعدة

تقول الأطروحة الأساسية لفتجنشتين في الفقرات (١٨٥ - ٢٤٢) الى جانب رفضه للمفهوم التأويلي للمعنى ما يلي: اتباع القاعدة ليس مؤسساً في النهاية على الأسباب أو المسوغات، عندما نطبق الكلمات على الأشياء فنحن لا نفعل ذلك لأننا نملك مسوغاً للتفكير بأن هذا هو التطبيق الصحيح لها، أو شيئاً يمكننا أن نقدمه لإظهار أن تطبيقنا للعلامة مسوغ إذا ووجهنا بتحد شكي.

يقول فتجنشتين: «كيف يكون بمقدوري اتباع القاعدة»؟ إذا لم يكن هذا سؤالاً عن الأسباب causes فهو إذن سؤال عن تسويغ اتباعي للقاعدة على نحو ما أفعل.

إذا استنفدت التسويغات فقد وصلت الى نقطة دنيا أميل عندها الى القول: هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ببساطة ما أفعله»[١].

عندما يؤكد فتجنشتين السمة الطبيعية أو التلقائية لاتباع القاعدة، أي ضرورة وجود حالات فعلية لتطبيق القاعدة ليست مبنية على المسوغات لأنها شيء تظهره الممارسة العرفية للغة، فذلك لا يعني أننا نفتقد التسويغ اللازم لاتباعنا القاعدة على نحو ما نفعل، وبذلك نفسح مجالاً للشك حول ما إذا كنا نطبق القاعدة على نحو صحيح. من هنا يرفض فتجنشتين الاعتقاد الابستمولوجي التقليدي الذي يجعل الشك والتسويغ أمرين متلازمين، بعبارة أخرى يرفض فتجنشتين ان يكون فعل احدنا مسوغاً اذا قدّم مسوغات لدفع الشك. فالشك يمكن ان يستبعد حتى بدون اللجوء الى المسوغات[٢].

خلاصة النقاش حول اتباع القاعدة:

لكي يوجد ما ندعوه لغة أو اي نشاط موجه بالقواعد فإن ذلك يتطلب وجود طريقة لاستعمال وفهم العلامات بحيث لا تكون هي ذاتها تأويلاً، اي ان يوجد سياق يتأسس فيه تطبيق القاعدة، سياق تعمل فيه القاعدة على نحو معياري في التسويغ والتفسير، في التعليم والتدرب، وفي هذا السياق تنشأ اسئلة حول تأويل القاعدة او تفسيرها. ولا يمكن ان نتحدث عن استعمال تعبير، و عن وجود علاقة داخلية بين القاعدة والفعل بما تقتضيه بدون افتراض سياق كهذا. فقط وعندما يكون هناك قواعد حقيقية، عندما يكون هناك ما يعد فعلياً اتباعاً للقاعدة ـ وكل شيء آخر عصياناً لها ـ فعندئذ فقط يوجد مكان لتأويل القاعدة بشكل صحيح او خاطىء. وهذا الأمر يتم إظهاره عندما يوجد اطراد في استعمال القاعدة وعندما يوجد عرف[٣].

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 85.

(٢) McGinn, Wittgenstein on, p. 22.

(٣) Baker and Hacker, Scepticism, pp. 18 - 19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد دُربنا على أن نتفاعل مع القاعدة على نحو ما، لكن هذا فيما يبدو يعطي مجرد ارتباط سببي، يخبرنا كيف تفاعلنا مع القاعدة هكذا، ولا يقول لنا مما يتكون هذا التفاعل، ما هو حقيقة هذا الفهم؟ وعندما نستنفد هذه الأسباب التي تقول لنا لماذا فعلنا ما فعلناه وليس ما يعنيه ذلك، فإن إجابة السؤال: ما الذي يعنيه ان نفعل كذا وكذا هي فقط تدربنا على فعل ذلك لا أكثر ولا أقل. إن ما نفعله ليس مجرد سلوك، لأنه جزء من عرف او ممارسة معيارية، سلوك له هذا المعنى وليس ذلك بوصفه تطبيقاً لهذه القاعدة لا تلك. هذا هو بالضبط معنى قول فتجنشتين في الفقرة (٨٥): «عندما اتبع القاعدة، فأنا لا أختار، اتبع القاعدة بشكل أعمى». بإمكاننا طبعاً ان نفهم معنى هذه الكلمة او هذا السهم او ذاك، بشكل مختلف عما نفعل وذلك اذا لم يكن لدينا سياق عرفي او ممارسة، ولكن بما أننا نمتلك فعلاً هذا السياق، فلا حاجة إطلاقاً الى التأويل: نحن ببساطة نفهم العلامة.

أخيراً فإن السؤال عما يؤسس العلاقة بين القاعدة وما يعد تطبيقاً لها؟ يوحي لنا بأن هناك شيئين منفصلين، القاعدة ومداها، وأننا مدعوون لاكتشاف ما يربطهما معاً، وما الذي يجعل هذه الأفعال وليس غيرها تطابق القاعدة.

إن «الأفلاطونية» platonism تفترض موجودات مجردة، والتي بمطابقتها لذاتها بهويتها الذاتية تحدد نتائج من هذا النوع، اي ما يعد وما لا يعد جزءاً من القاعدة. ولكن هذا ليس تفسيراً بل صورة لا تحقق شيئاً. فالمشكلة فيها هي التالي: ما الذي تعنيه هذه الموجودات (المفاهيم) المجردة؟ كيف تطبق؟ والمذهب السيكولوجي psychologism يفترض أفعالاً خارقة لتحديد المعنى. من نوع الصور الذهنية او عمليات خاصة لتتوسط بين الكلمة واستعمالها، وتعيدنا الى التصور الذاتي والمفهوم التأويلي للمعنى كما نبذه فتجنشتين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن السؤال عن العلاقة بين القاعدة وتطبيقها أو ما يجعل هذه الأفعال جزءاً من القاعدة، وما يجعل القاعدة قادرة على تحديد ما يتفق ولا يتفق مع مضمونها هو سؤال غير متماسك؛ لأنه يجعل العلاقة بين القاعدة وتطبيقها مجرد علاقة جائزة، لكن العلاقة بينهما هي علاقة مفهومية او داخلية Internal فإذا لم تكن: ١٠٠٢، ١٠٠٤، جزءاً من مدى القاعدة (+) فلن تكون هي ذاتها، ومن غير المتصور ان تملك هذه القاعدة سوى هذه التطبيقات التي تشكل جزءاً من استعمالها الصحيح.

العلاقة بين القاعدة وتطبيقها وجهان لعملة واحدة، فإذا كان لا معنى لقولنا كيف يحدد وجه العملة هذا وجهها المقابل، فكذلك لا معنى للقول كيف تحدد القاعدة هذه الافعال بوصفها جزءاً من مداها، وبالتالي، عندما نفهم قاعدة ما فنحن لا نفهم القاعدة ثم ننظر حولنا لاكتشاف ما يعد مطابقا لها. أن نفهم القاعدة يعني أن نعرف ما الذي يعد تطبيقاً صحيحاً لها وما لا يعد[١].

مفهوم اللغة الخاصة واتجاهات الحوار:

بوصول فتجنشتين الى الاعتقاد القائل إن اللغة ضرب من الممارسة التلقائية او الاتفاق كما يقول في الفقرة (٢٤٠) فإنه يتحول لاختبار هذا التصور بإثارة قضية اللغة الخاصة. والمفهوم الأخير ليس تخيلاً او اختباراً للقدرة على الحجاج، إنما هو محاولة لنقد العديد من المواقف، والنظريات الفلسفية، التي اقتضت هذا المفهوم في نظرتها لطبيعة اللغة والخبرة او المعرفة.

كيف تمثل اللغة الخاصة اختباراً او حتى تكذيباً لاعتبار اللغة نوعاً من الاتفاق؟ وبأي معنى يتم الحديث عن خصوصية اللغة هنا؟ لنبدأ أولاً بتوضيح مفهوم الاتفاق في

---

(١) Baker and Hacker. Scepticism, pp. 94 - 96.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة او معنى ان يشترك شخصان في لغة معينة. وبهذا لا يوضح فتجنشتين معنى ممارسة اللغة باعتبارها سلوكاً معيارياً بغض النظر عما اذا كان فردياً او مشتركاً، بل ايضاً متى تكون اللغة غير قابلة للفهم والتشارك. ولا شك ان هذا البحث في صلب إمكانية وجود اللغة الخاصة.

قلنا ان حيازة اللغة او مفاهيمها يعني وجود قدرة تلقائية، شيئاً يعطى لنا كشكل الحياة ـ لمعرفة استعمالها الصحيح في الظروف المواتية. ولهذا يقول فتجنشتين «إن الكلمة الاتفاق» والكلمة «القاعدة» يتصلان بشكل محكم. إذا علمت معنى واحدة من الكلمتين فقد علمت الاخرى»[١]. التركيز هنا ليس على وجود اكثر من شخص للاتفاق في استعمال اللغة او القاعدة بل على وجود اطراد في استعمال المفهوم، وجود صلة بين العلامة والفعل باتجاهها. وهذه الممارسة هي التي تمكننا فقط من تسويغ معرفتنا باللغة، وما اذا كانت ممارسة غيرنا لها هذه الصفة ام لا. الاتفاق في اللغة حقيقة من حقائق البشر، والسوك المشترك لهم ـ كيف يطبقون القواعد على نحو متشابه وفي اي اتجاه ـ هو نظام الدلالة الذي على أساسه نترجم او نفهم لغة غير معروفة لنا[٢]. ولكن بأي معنى نتحدث عن الاتفاق؟ أهو اتفاق في معنى القواعد فقط، أم في الاحكام الجزئية ايضاً، اي في تطبيقاتها. هل يمكن ان نتفق في مفاهيمنا ونختلف كلياً في الاحكام؟ نحن الذين نطبق القاعدة (+٢) على نحو ما نفعل، أنقف في المستوى نفسه مع (ش) الذي كتب: ١٠٠٠، ١٠٠٤، ١٠٠٨؟ وهل الممارسة هي التي تحدد صحة الاحكام فتكون خطوات (ش) صحيحة بالنسة لممارسته...؟ هل يوجد معيار مطلق او مستقل لتحديد ممارسة من هي الصحيحة وعلى سبيل المثال هل وجود ممارسة او اتفاق على أن

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 1.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الارض منبسطة يقرر صحة هذا الحكم، ويجعله صحيحاً في زمن ما وفي زمن آخر، اليوم، كاذباً لتغير ما قاله الناس او اعتقدوه، اتغير شكل الأرض لان وصفنا لها، حكمنا، قد تغير؟. وهل رفض فتجنشتين لممارسة لغوية خاصة نابع من اعتقاده بان اي تطبيق للغة يجب ان يكون مشتركاً على نحو فعلي، وبمعنى آخر هل امتلاك واحدنا للغة مشروط بموافقة استعماله للغته لغة آخرين (لغة المجتمع). يقول فتجنشتين: «إذن فانت تقول ان الاتفاق الانساني يقرر ما هو صحيح وما هو خاطىء؟» ويجيب: ما يقوله الناس هو الصحيح والخاطىء، وهم يتفقون في اللغة التي يستعملون، وليس ذلك اتفاقاً في الأراء بل في صورة الحياة (الفقرة ٢٤١)[١]. وهذا يعني أن الاتفاق كما يفهمه فتجنشتين يمس شروط وجود العبارات ذات المعنى، وليس شروط حقيقتها اي تحقق قيم صدقها. لا شك طبعاً ان حيازة أي قضية لقيمة صدق معينة، مشروط بحيازتها معنى معيناً، اما ما يجعلها صادقة او كاذبة فعلياً، فيعتمد على شيء ابعد من ذلك، على طبيعة الوقائع كما يقول فتجنشتين في الرسالة، فالعبارة على حد قوله تحدد قيمة صدق محتملة لواقعة محتملة وليس شيئاً أكثر من ذلك. أما تأكيد فتجنشتين في الفقرة السابقة ان الاتفاق هو في «شكل الحياة» وليس في «الآراء» فتأكيد لاعتقاده بان تطبيق القاعدة او المفهوم على نحو ما ليس مرتكزاً على مسوغات بل على ميول طبيعية «فرأي» هنا تعني شيئاً ينشأ عن استنتاج منطقي، شيئاً تعضده المسوغات او الافتراضات اما الاتفاق في شكل حياة فتأكيد للسمة التلقائية او على حد تعبير فيلسوف معاصر ـ للكيفية التي نجد أنفسنا نعمل وفقها وبشكل طبيعي او تلقائي[٢]. وكما ان قول احدنا «هذا أحمر» باعتباره حكماً تجريبياً لا يمكن ان تكون حكما على الإطلاق ـ حكماً يمتلك قيمة صدق

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 88.

(٢) McGinn, Wittgenstein, p. 55.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معينة ما لم نكن نعرف معنى «هذا» و «أحمر» ومعنى أن تكون العبارة هنا تجريبية. .الخ. كذلك الحال بالنسبة لمعرفتنا كيف نطبق المفاهيم السابقة، اي ان تكون هي ذاتها جزءاً من أحكام فعلية تلقائية، يقول فتجنشتين: «اذا كان للغة ان تكون أداة تواصل، فيجب ان لا يوجد اتفاق في التعريفات (المفاهيم) فحسب بل ويوجد أيضاً اتفاق (مهما بدا ذلك غريباً) في الأحكام، يبدو هذا أمراً مدمراً للمنطق وليس كذلك.

أن نصف طرق القياس شيء وأن نحقق نتائجه هو شيء آخر، لكن ما ندعوه قياساً هو امر يتم تحديده جزئياً بوساطة اطراد معين في تتابع القياس».

هناك ولا شك اشياء كثيرة يمكن ان تقال بشأن الاهمية الفلسفية لتشبيه اللغة هنا (الاتفاق فيها) بالقياس measurement ونتائجه[1]. لكن ما يعنينا هنا هو ان الاتفاق في اللغة ـ لاحظ ان الكلام هو على لغة مشتركة بين الذوات اي على وجود تواصل ـ لا يمكن ان يتحقق بدون وجود اتفاق في المفاهيم (التعريفات) وفي الأحكام في الوقت نفسه. فالتعريفات، والتفسيرات، المتعلقة باستعمال الكلمات سواء كانت اشارية أم لغوية لا يمكن بذاتها ان تحدد معناها، اي ما نتوجه اليه بالتعريف دون معرفة كيف يتم تطبيقها في احوال فعلية. وعلى سبل لمثال، التعريف «هذا أحمر» قد يؤول بوصفه تعريفاً للون الأحمر او تعريفاً لطريقة «تعريفنا» المحمولات اشارياً. . .الخ هذا هو تماماً معنى قول فتجنشتين بأن القياس يعرف جزئياً بنتائجه، بمعنى ان التعريفات يحدد معناها جزئياً بالأحكام. فإذا قال الناس ان «الارض منبسطة» فإن ما قالوه يعد خاطئاً ونحن على حق لو اختلفنا معهم، ولكن اذا كان لكلمة «منبسطة» ان تكون ذات معنى على الإطلاق فإن من الضروري ان يوجد اتفاق، على مستوى كبير، في استعمال هذه

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمة وتطبيقها على موضوعات محددة (كالطاولات، والمناظر الطبيعية) بوصفها منبسطة او لا. فالواقع ان اختلافنا مع اسلافنا بشأن حقيقة «انبساط الارض» يفترض اتفاقنا في معنى الكلمة السابقة، اي اننا نعني «ذات الشيء» بالكلمة[١]. أذن كيف يمكن للغة الخاصة ان تعارض (تكذب) التصور السابق لمعنى الاتفاق في اللغة؟، وبالمقابل كيف يسمح الفهم السابق للغة، للاتفاق فيها، لنا بتقديم أسباب جيدة لرفض اللغة الخاصة؟.

اذا كانت اللغة الخاصة تعني ان يتواصل شخص ما مع نفسه بدون ان يفترض لغة وعالماً مستقلين عن خبرته الخاصة، او كان بإمكانه ان يربط بين علامة وشيء عبر تعريف خاص - تأمل ذهني او تفسير ذاتي - ويكون معياراً لاستعمالها الصحيح بحيث يكون مثل هذا المعيار معتمداً بشكل جوهري على معرفته الذتية، فإن اللغة في هذه الحالة لن تكون قابلة نظرياً للاختبار او للاشتراك من قبل الآخرين، وسيكون لكل واحد منا لغة خاصة. تنشأ عن هذا التصور أوهام متعددة نوضحها في حينه، واذا تمكن فتجنشتين في حجاجه القادم من تقديم تصور متماسك ضد اللغة الخاصة، لا فقط ان يؤكد فحسب سمة الاتفاق في اللغة، بل ان ممارسة خاصة كالتي يفترضها متكلم اللغة الخاصة لن تنشيء ما ندعوه لغة ولن يستطيع نصيرها تطبيق هذا المفهوم - المعنى حتى لذاته. فإن ذلك لن يعني زيف هذا المفهوم بل وزيف النظريات الفلسفية المثالية والشكوكية واسعة الانتشار ايضاً.

مفهوم اللغة الخاصة:

«يستطيع الإنسان أن يشجع نفسه، ويلقي عليها الأوامر، ويمتثل لها. يستطيع أن

---

(١) Hanfling, Wittgenstein's, pp. 88 - 89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعاقب نفسه ويعاتب نفسه. كما يستطيع أن يطرح على نفسه سؤالاً ويجيب عليه، يمكننا أن نتخيل اناساً يتكلمون فقط عبر حوار داخلي، اناساً يصحبون نشاطاتهم بالحديث إلى أنفسهم.

المستكشف الذي يرقبهم ويستمع إلى حديثهم يمكن أن ينجح في ترجمة لغتهم إلى لغتنا (وهذا سيمكنه من توقع أفعال هؤلاء الناس بشكل صحيح لأنه ايضاً يسمعهم ينفذون الحلول والقرارات).

ولكن أيمكننا ايضاً تصور لغة فيها يمكن للفرد أن يدون أو يمنح تعبيراً لغوياً لتجاربه الخاصة كما لاغراضه الخاصة: مشاعره وأمزجته النفسية، وهلم جرا. حسناً، ألا نستطيع فعل ذلك في لغتنا العادية؟ غير أن هذا ليس هو ما أعنيه. الكلمات التي لهذه اللغة يجب أن تشير إلى ما يمكن معرفته فقط من قبل متكلمها، ونسبة إلى أحساساته الخاصة والمباشرة، لذا فإن شخصاً غيره لا يمكن أن يفهم لغته»[1].

يفصل فتجنشتين من البداية بين مفهوم لغة خاصة جائزة أو ممكنة، تندرج تحتها الممارسات اللغوية المعتادة لوضع أحدنا، أو تسميته احساساً يمر به ربما لأول مرة. كالإحساس الذي يدهم أحدنا عندما يقف لأول مرة أمام جمهور، بحيث تكون عملية التسمية هذه جزءاً من لغة مشتركة، لغة تمكننا من معرفة ما يعنيه مرور احدنا بإحساس جديد. وحتى لو اتسع هذا الضرب من الممارسة الخاصة ليشمل وجود شخص كروبنسن كروزو يستعمل اللغة في عزلة اجتماعية تامة فإن ذلك لن يغير الوضع المنطقي للغته. وما الخلط بين هذا التصور للغة الخاصة وبين المعنى القوي للغة الخاصة كما ينص عليه القسم الثاني من الفقرة (٢٤٣) إلا حرفاً لمقصد فتجنشتين.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, pp. 88 - 89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يتعلق السؤال الأساسي لفتجنشتين بالشروط التي تجعل تعلم اللغة (اكتسابها) ممكناً أو غير ممكن كما اعتقد ذلك فلاسفة متعددون[١]. عند فتجنشتين الأمر سيان بين أن يكون واحدنا قد تعلم اللغة، أو ربما فُطر منذ البداية على أن يستجيب لجمل لغته الأم كأي شخص عادي على حد تعبير فتجنشتين في الفقرة (١٨٣).

إذن، المستوحد أو المتكلم المنعزل، وحتى لو كان كروبنسن كروزو، يملك لغة محكومة بالقواعد مثل لغتنا. وحتى لو كان منعزلاً تماماً، فإن لغته رغم أنها غير مشتركة فعلياً فإنها قابلة للتشارك. ولو لم يكن هناك أحد يتفق معه في أحكامه فإنه يستطيع أن يشاركه فيها. فضرورة الاتفاق تتعلق فقط بما يجب أن يكون ممكناً وليس بما يجب أن يكون حاصلاً بالفعل. تماماً مثلما أن الاتفاق المطلوب في لغة ما يحدد فقط قيم صدق محتملة لأحكامها وليس ما يجب أن تكون عليه فعلياً، فالمطلوب وجود نشاط اجتماعي ممكن أو مجرد إمكانية توفر خطاب بيذاتي intersubjective وليس الحالة الفعلية للأخير[٢].

بقي أن نلاحظ أن فتجنشتين عندما يطلب منا تخيل أناس لا يستعملون اللغة إلا في حوار داخلي حيث الشخص الواحد يملك ألعاباً لغوية تخصه: يتحدث لنفسه ويأمرها ويطيع، يسأل ويجيب... الخ فهو يقدم شكلاً أعقد من حالة كروزو، ومع ذلك فإنه كما يظهر في الفقرة الأولى من (٢٤٣) يعتبر شكلاً لممارسة اللغة ويقبل التشارك أو الترجمة إلى لغتنا وذلك لأنه يحقق اطراداً في استعمال الكلمات والسلوك المميز لها.

أما اللغة الخاصة، والتي هي كذلك لاعتبارات منطقية، فإنها تتمتع بالسمات التالية: (أ) كلماتها يجب أن تشير إلى ما يعرفه المتكلم مباشرة و (ب) موضوعات هذه

---

(١) من هؤلاء، مثلاً روبرت فوجلن، انظر: Fogelin, Wittgenstein, p. 222.

وحول المسألة ذاتها انظر: Hanfling, Wittgenstein's, pp. 90 - 92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعرفة يملكها المتكلم فقط. و (جـ) الآخر لن يستطيع فهمها. وهذه المميزات الثلاثة تجد توضيحاً لها على النحو التالي:

السمة (أ) تحدد الخصوصية الابستمائية لموضوعات اللغة الخاصة، فهي خاصة بقدر ما يكون المتكلم وحده قادراً على معرفة ما هي هذه الموضوعات ومتى تظهر. و (ب) تحدد أو تعين مفهوم الخبرة الخاصة لهذه اللغة المزعومة، بحيث أن موضوعات هذه اللغة يمتلكها المتكلم وحده ولا أحد غيره. أما (جـ) فتعتبر نتيجة لـ (أ) و (ب)[١].

بقي أن نشير هنا إلى أن مفهوم «الاحساسات» كموضوعات مزعومة للغة خاصة يتسع ليشمل حالات عرضية كالألم والاهتياج والهذيان مثلاً أو حالات ذهنية (صور تظهر للعقل) أو ايضاً مدركات بصرية. وبذا تكون الاحساسات خاصة بالمعنى الأساسي لأنها ممتلكة فقط للمتكلم ولأنه يعرفها يقيناً ويعرف أنه يملكها.

اتجاهات النقاش بشان اللغة الخاصة:

أول ما نلاحظ في حجة اللغة الخاصة هو سعي فتجنشتين الحثيث لتقويض التصور الفلسفي أو الاعتقاد الذي قد يتبناه الإنسان العادي بشأن خصوصية «الاحساسات». هل توجد حقاً ممارسات فعلية في لغتنا العادية خاصة بالمعنى القوي للكلمة؟ عندما يتكلم شخص ما عن احساساته، أليست معانيه خاصة؟ ألا يبدو في حالة كهذه أن استعماله الصحيح للكلمات لا يفترض مفاهيم مسبقة ويخضع لاتفاق في المعنى، بل لمعرفته الذاتية بشأن احساساته. هذا الاتجاه في النقاش يتوجه إلى نموذج الاحساس بالألم؛ ويظهر أن لهذا المفهوم - وقس على ذلك المفاهيم السيكولوجية عموماً - معنى فقط بالنظر إلى قواعد استعماله في لغة عامة قابلة للاختبار والتعلم.

---

(١) انظر: Hacker, Insight,p.223.

أيضاً: Kenny, Wittgenstein, p.180.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه الثاني لهذا النقاش يخصص لما يُعد عصب اللغة الخاصة: للسؤال عما اذا كان بالإمكان تشكيل لغة خاصة اعتماداً على تعريف ذهني خاص، وباستقلال كامل عن لغة وعالم مستقلين عن الذات؟ ويُظهر فتجنشتين في هذا النقاش أن نموذج اللغة الخاصة لا يمكن أن ينشيء معياراً لما يُعدّ اكتساباً لمفهوم ما: ولا لما يمكن أن يوصف بأنه استعمال لغوي مطرد.

هناك اتجاه ثالث في النقاش يظهر التداخل الكبير بين نموذج اللغة الخاصة والصورة الأوغسطينية للغة. فالتصور الأخير يقول إن اللغة تتشكل من أسماء ترتبط بمعناها أو موضوعها بوساطة فعل ذهني. فإذا كان هناك شيء هو معنى كلمة «ألم» عند قولنا «أشعر بألم» فإن ذلك يظهر كما لو أن ما تسميه الكلمة هو «الألم ذاته»وأن معنى الكلمة لهذا السبب دون غيره شأن شخصي، ويدرك بفعل معرفة ذهني، وخاص بالمتكلم.

الاتجاه الرابع يتناول توجهاً لرؤية معاني كلمات الإحساس وبخاصة إذا قورنت مع استعمال كلمات تنتمي موضوعاتها إلى العالم الفيزيائي. الآخرون قد يتمكنون من اختبار استعمال كلمة «تفاحة» بملاحظة الموضوعات التي أدعوها «تفاحاً»، أهي مطابقة لمعنى الكلمة أم لا. غير أن الاتفاق في استعمال هذه الكلمات يبدو للوهلة الأولى غير متوافر لكلمات الاحساسات التي يبدو أن المتكلم يمتلكها أو يعرف معناها باختباره لها. هناك ولا شك فروقاً مفهومية بين استعمال كلمة «تفاحة» واستعمال كلمة مثل «ألم» ولكن ذلك لا يعني أن الأخيرة غير قابلة للتعلم والفهم على نحو يناسبها، أي على أساس قواعد استعمالها المشتركة[١].

السياق التاريخي للغة الخاصة:

يُعدّ مفهوم المعنى الذي يرفضه فتجنشتين في نقاش اللغة الخاصة مقوماً أساسياً للفلسفة التجريبية كما ثبّته جون لوك في القرن السابع عشر. فلوك لم يعتبر اكتساب

---

(١) Hanfling, Wittgenstein's, pp. 88 - 91.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمات للمعنى كامناً في تضايفها مع الموضوع فحسب بل نظر إلى هذا الموضوع باعتباره شيئاً ذهنياً أو فكرة تعرف للمتكلم وحده.

هذا الاعتقاد يتقاطع مع آراء فلاسفة تجريبيين كرسل وشليك ممن كان لفتجنشتين اتصال وثيق بفلسفتهم. كما أن هذه النظرة إلى المعنى مرتبطة بالاعتقاد التجريبي القائل إن المعرفة على الإطلاق تحلل إلى عناصر الخبرة الذاتية: الاحساسات أو المعطيات الحسية أو الانطباعات والأفكار. فاعطاء اسبقية ابستمولوجية لما هو داخلي وخاص أي للعقل على العالم الفيزيائي والسلوك يمتد بجذوره إلى ديكارت والتقليد الديكارتي الذي أثرّ حتى في فلاسفة خارج هذا التقليد كباركلي وهيوم واستند إلى لغة خاصة[1].

(١) Kenny, Cartesian, p. 367.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث
تقويض اللغة الخاصة

التصور التجريبي للغة ونموذج اللغة الخاصة:

كلمات اللغة الخاصة تشير ـ كما سبق أن قلنا ـ إلى الاحساسات الخاصة والمباشرة للمتكلم. وبالنظر إلى اتساع المقولة الأخيرة لتشمل عندما يستعملها فتجنشتين إلى جانب الإحساس بالألم المدركات البصرية كما في الفقرات (٢٧٢، ٢٧٦)، وعمليات الذهن وحالاته الخاصة في الفقرات (٢٩٠، ٣٠٣، ٣٠٦) فإن النقاش بشأن اللغة الخاصة لا يستهدف بحث وجود لغة خاصة بالألم ـ وهو الشيء الذي يظهر للوهلة الأولى لكون الإحساس الأخير هو النموذج الأساسي لنقاش اللغة الخاصة في «الأبحاث». يهدف هذا النقاش في الواقع إلى تقويض تصور أعمّ منه، وأعني به «الخبرة الخاصة» ونظرية المعنى التي تسنده. ويحاول فتجنشتين أن يظهر عيوب التصور الفلسفي الذي يفصل بين عالم ذهني وآخر فيزيائي، مع اعتبار الأول ذا معنى تام ومستنفداً كل ما يمكن أن ندعوه خبرة أو معرفة. والعالم الذهني هذا هو عالم الخبرة الخاصة لكل فرد والذي يمكنه تزويدنا مباشرة بالأفكار، بمعزل عن اللغة. كما يمكنه أن يربط اللغة بالواقع أو الكلمة بمعناها.

واضح أن التصور الأخير يتطلب وجود لغة خاصة للتعبير عن الخبرات الذاتية للأفراد، والتخلص من لغة الممارسة الفعلية التي تبدو ناقصة وغامضة، وذلك لأنها تعتمد على البيئة الفيزيائية وخبرات الآخرين وسلوكهم أو ما يقولونه بدلاً من التعويل المباشر على الخبرة الخاصة للمتكلم.

هذه مسألة، والمسألة الأخرى أن توسيع فتجنشتين لمقولة الإحساسات، واستثثار مفهوم الخبرة باهتمامه يعني أن ما يرفضه ليس تصور إحساس الألم ـ أو الحالات الذهنية التي تظهر للفرد باعتبارها موضوعات ذات معنى خاص فحسب ـ بل وتصور معرفتنا الإدراكية بالواقع الفيزيائي باعتبارها غير مستقلة عن خبراتنا الذاتية الخاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان نقاش فتجنشتين للغة الخاصة يطال مفهومي «الخبرة أو المعرفة الخاصة» و «المعنى الخاص» بوصفهما تصورين متعاضدين، فإنه يغدو واضحاً لماذا يتحدث بعض الفلاسفة عن خطأين أساسيين للغة الخاصة، الأول بشأن الخبرة والثاني بشأن اللغة. الخطأ المتعلق بالخبرة هو تصورها خاصة وغير قابلة للتشارك، والخطأ بشأن اللغة يكمن في الاعتقاد القائل بأن الكلمات يمكنها أن تكتسب المعنى بمجرد فعل إشاري[١].

إن النموذج الفلسفي القريب ـ وكما لاحظ عدد من الفلاسفة ـ من تصور فتجنشتين للغة الخاصة هو التصور التجريبي لها، ممثلاً على نحو ممتاز بجون لوك. بالرغم من أن فتجنشتين كما يؤكد العديد من الفلاسفة لم يقرأ لوك أو هيوم إلا أن قربه من الفلاسفة التجريبيين المعاصرين له كرسل وشليك واعتناقه مواقف شبيهة باللغة الخاصة في فترة اشتغاله المبكر بالفلسفة وتأثر هؤلاء جميعاً بالتجريبيين الكلاسيكيين، مؤشر على التقارب بين اللغة الخاصة كما يناقشها فتجنشتين في «الأبحاث» وبين تصور جون لوك للغة وصلتها بالواقع.

الكلمات، كما يزعم لوك، بمنزلة العلامات أو الصور المرئية للأفكار، وهي في دلالتها الأولية والمباشرة ترمز أو تشير إلى الأفكار التي يمتلكها المتكلم في ذهنه. هذا التصور يستند على نحو واضح إلى الشكل الذي تأخذه عبارات أو اعتقادات من نوع: «اللغة أداة لتصوير أو إبلاغ الأفكار» أو «اللغة هي الصورة الفيزيائية للحالات الذهنية الخاصة» وأكثرها ذيوعاً القول إن الجملة أو القضية هي «تتال من الكلمات يعبرّ عن فكرة مكتملة»[٢].

إن هذا المثلث الذي أراه أمامي الآن وتنطبع صورته في ذهني ليس وفقا لتصور لوك هو ما يجعل العبارة «هذا مثلث» ذات معنى، إنه بالكاد مدلول لها. وما يجعله ـ

---

(١) Kenny, Wittgenstein, p.180.

(٢) Alston, Philosophy, pp. 22 - 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي الموضوع - كذلك، اندراجه تحت فكرة المثلث كما هي مسبقاً في الذهن، هناك في الذهن نماذج لما يسميه لوك الكيفيات المحسوسة او المدركة كالحمرة والصلابة والألم والتفكير، وبها يمكن أن نعرف ما إذا كانت حالة مفردة هي حالة لهذا النموذج أو المفهوم أم حالة لذلك.

وعلى نحو مشابه تشير كلمات اللغة الخاصة إلى الإحساسات الخاصة والمباشرة للمتكلم. فما يجعل هذا الشيء الذي أراه أمامي الآن أحمر هو امتلاكي صورة ذهنية عنه، وهو السبب نفسه الذي يجعلني استعمل كلمة «أحمر» على نحو صحيح. وعندما يحاول متكلم اللغة الخاصة أن يشكل مفهوماً خاصاً عن إحساس معين، فإنه يقترح استعمال العلامة (S) لربطها مباشرة بالإحساس. وبالتالي تزويدها بالمعنى، سواء أكان ذلك عن طريق الصورة أم عن طريق الإحساس الذي يحضر في ذهنه فعلياً، عن طريق استعادته له بوساطة التذكُّر.

أما كيف يتم تعلم اللغة او تشكل مفاهيمنا عن الأشياء أو كما يقول فتجنشتين كيف ترتبط الأسماء بالإحساسات، فيرى لوك أن البداية الصحيحة يجب أن تكون الذاكرة، خزانة الأفكار، حيث يتم تزويدها بنماذج المدركات الحسية عبر التركيز والتكرار، لتتمكن من تزويد العقل بالأفكار لحظة الحاجة إليها. وعندما يتمكن الشخص - الطفل مثلاً - من معرفة الكلمات أو استعمال وتأليف الجمل ويكون بمقدوره ربطها بالأفكار الخاصة التي يحوزها في ذهنه مسبقاً أو يستطيع تذكرها، عندها فقط، يمكن له أن يربط الاسم بمعناه أو يكتسب كأقرانه مفاهيم لغوية[1].

هذا التصور الذي يقدمه لوك، والذي يرى أن الكلمات ذات المعنى هي تلك التي يتم ربطها مباشرة بالمعنى، أو الأفكار، كموضوعات ذهنية، يتكرر على لسان متكلم اللغة الخاصة على نحو ما بلورها فتجنشتين. فالأسماء البسيطة تقترن مباشرة

---

(١) Hacker, Insight, p. 225.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإحساسات بدون النظر إلى اللغة أو السلوك المصاحب لاستعمالها. وذلك يتم إما بتركيز «الانتباه الذهني» عند التلفظ بالاسم او تدوينه وقت حضور الإحساس المراد تسميته أو تعريفه، أو وقت استعادته بالتذكر أو حتى عندما يتعهد متكلم اللغة الخاصة بينه وبين نفسه باستعمال الاسم مستقبلاً للإشارة إلى ذات الإحساس كما نلاحظ في الفقرة (٢٦٢) من الأبحاث.

عمل الذاكرة في نظر لوك أن تكون «خزانة للأفكار»، وأن تزود الذهن بالمثال المناسب ـ الصورة أو الفكرة ـ عند حاجته إليها، مما يكفل بشكل تام استعمال العلامة على يد هذا الشخص للإشارة إلى الفكرة نفسها. وحتى لو أخطأ فإن خطأه لن يكون سوى عائق عملي أمامه؛ لأنه يحوز أفكاره، أي المعنى بشكل مسبق. أيمكن لذاكرة خاصة أن توفر معياراً على أساسه نصف شخصاً ما بأنه يستعمل لغة أو مفهوماً حقيقياً؟ لاحظ أن تسمية إحساس ما أو تزويد كلمة بمعناها يتطلب استعمالها مستقبلاً، وفي هذه الحالة يكون اللجوء إلى ذاكرة خاصة أمراً ضرورياً لتسويغ ما اذا كان هذا المتكلم يستعمل ذات الكلمة لتسمية الإحساس ذاته. إن هذا شبيه بلجوء متكلم اللغة الخاصة إلى شيء يشبه الذاكرة، إلى قاموس متخيل، يتشكل من الكلمات والصور الذهنية التي تشكل معانيها، أو من كلمات وأخرى تفسرها. هذا القاموس يسوّغ الاستعمال الصحيح للكلمات او يحقق الربط القويم بين الكلمة ومثالها في الذهن[١].

أضف إلى ما سبق أن نظرة لوك إلى الكيفية التي يتحقق بها الربط المباشر بين الكلمة والإحساس، تستعيد بشكل واضح التصور الأوغسطيني للغة كما سبق أن شرحناه. وهذه الاستعادة ليست بدون تبعات، فغالباً ما عُدّت نتائج ذائعة لنموذج اللغة الخاصة. فالأسماء تشكل اللغة وهي إما أن ترتبط بفكرة بسيطة وعلى نحو مباشر، أو إذا كانت مركبة فإنها تعرف بفئة النوع الأول من الأسماء. والعبارات ليست سوى تأليفات لهذه الأسماء، ولها نفس الوضع المنطقي نفسه الذي للأسماء؛ بمعنى أن الأفكار

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المركبة يتم فهمها عندما تُحول إلى الأفكار البسيطة التي تتكون منها. وبالتالي فإن الأساس الأخير للغة هو، إذاً، الأفكار التي توجد باستقلال عن اللغة. والذهن يمكنه كما يبدو تحقيق مالا يحققه الاستعمال الفعلي، وذلك بربط الأسماء بمعانيها أو «بالأشياء في ذاتها» مباشرة.

إذا صح الأمر الأخير، واضفنا إلى ذلك أن الأفكار هي منطقياً خاصة بالمتكلم، فإن معرفة المعنى الحقيقي للأسماء ستكون حقاً للمتكلم وحده. وعندها يلوح في الأفق إعتقادان أو احتمالان خطيران، الأول: أن الشخص لا يملك فقط صوراً إدراكية مختلفة عن الآخر بحسب تجربته الحسية بل إنّ ما قد يعني له «أزرق» قد يعني لك «أحمر» وما من طريقة للتحقق من أنك تستعمل هذه الكلمة لتشير إلى الفكرة نفسها أو لتعني بها نفس ما أعنيه أنا. أما الثاني فهو أن من يعتنق موقف لوك الأخير سوف يعتبر السمات الدلالية والقواعدية للغة والأغراض التي تستعمل الكلمات والعبارات أو اللعب اللغوية لأدائها كالوصف والتعريف والتوقع... الخ سوف يعتبر هذه السمات غير أساسية لمعنى العلامات. فلا قيمة للدور الذي تلعبه الكلمة في شكل حياة معين، وأي كلمة يمكنها أن تعبر عن المعنى.

اللغة الخاصة في مناقشة فتجنشتين تستعيد بشكل أقوى الصورة الأوغسطينية، والاحتمالين المترتبين عليها. فكل ما يجب على متكلم اللغة الخاصة أن يحققه، هو أن يربط العلامة بالإحساس بوساطة تعيين ذهني خاص. وهذا الإجراء الأخير ـ أي التعريف الذهني الخاص ـ لا يفترض أي معرفة لغوية مستقلة أو اتصال بالآخرين، وذلك لأنه يعرف الكلمة ليس بأخرى أو بطريقة استعمالها العامة بل بمواجهة معناها مباشرة من قبل المتكلم ذاته. هذا هو معنى تنبيه فتجنشتين خصمه في الفقرة (٢٥٨) إلى أن تعريفه للعلامة (S) بأنها تشير إلى S لا يمكن أن يتطلب أكثر من فعل معرفة مفرد ـ تعريف اشاري خاص ـ ولا يجب أن يفترض مفاهيم لغوية ترتبط بالعلامة S، وتشكل استعمالاً مطرداً يمكن أن يترجم إلى لغة عامة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاحتمال الأول المترتب على هذا التصور - كما تنبه اليه لوك - والقائل إنه لا طريقة أو لا معنى للاعتقاد بأن شخصين يمكنهما استعمال العلامة نفسها للتعبير عن المعنى نفسه قام فتجنشتين بصياغته في الفقرة (٢٧٢) حين قال: «الشيء المهم فيما يتصل بالخبرة الخاصة ليس أن كل شخص يمكن أن يمتلك فكرته، أو نموذجه الخاص، ولكن أنه لن يكون بمقدور أحد أن يعرف ما إذا كان الآخرون ايضاً يملكون هذا أو شيئاً آخر. فافتراض أن شخصاً ما سيمتلك احساساً باللون الأحمر وآخر سيمتلك الإحساس نفسه سوف يكون ممكناً، ولو أنه غير قابل للتحقق [١].

الاحتمال الثاني الذي يرى السمات الدلالية والقواعدية والبراغماتية - الأغراض المنوطة بالكلام - مجرد تعبير جائز عن الأفكار، يصوغه فتجنشتين في مثال شهير حيث يقول: «تخيل شخصاً ذاكرته لا تقدر على استعادة معنى الكلمة «ألم» ولهذا فهو يستعملها باطراد لتسمية اشياء مختلفة، ومع ذلك يستعمل الكلمة على نحو يطابق الأمارات والافتراضات المسبقة للألم، بمعنى أنه يستعمل الكلمة كما نستعملها نحن»[٢].

إن من بين نقاط الالتقاء الأخرى بين تصور التجريبي لوك للغة ومتكلم اللغة الخاصة في «أبحاث» فتجنشتين ما يترتب على تصورهما لآلية تعلم أو تعليم اللغة وتفسير طبيعة التواصل المشترك بها. فلوك يرى أن للغة اسعمالين، و الواقع نوعين من المعنى، الأول تواصل المتكلم مع ذاته بوساطة أفكاره الخاصة، والثاني إبلاغ أفكاره للآخرين. النوع الأول لا يمثل مشكلة، وذلك لأن المتكلم يعرف أيّ العلامات يتوجب عليه أن يستعملها للدلالة على أفكاره الخاصة، وذلك بقدر ما يوظف كلماته وأحكامه على نحو متساوق مع أفكاره، وبقدر ما تكون ذاكرته موثوقة.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 95.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما التواصل اللغوي المشترك، فيرتبط بالمعنى ارتباطاً جائزاً لأن الانسان في نظره يمكنه أن يعفي نفسه من التواصل مع الآخرين، أو حتى استعمال اللغة مطلقاً، ما دامت المعاني ـ الأفكار ـ موجودات سابقة على أي خطاب أو لغة.

وإذا كان للكلمات أن تؤدي وظيفتها باعتبارها جزءاً من لغة مشتركة، فإن نفس آلية الارتباط بين الكلمة والصورة الذهنية التي توجد في ذهن المتكلم يجب أن توجد هي نفسها في ذهن السامع. ولكن الكلمات التي تشير إلى أفكار بسيطة كما سبق أن رأينا غير قابلة للتعريف، والكلمات التي تشير إلى أفكار مركبة تعرَّف بالنوع الأول من الكلمات. وهذا يعني للوك ولمتكلم اللغة الخاصة أن معنى الكلمات التي تشير إلى أفكار بسيطة يجب أن يكون مشتركاً حتى يكون التواصل ممكناً.

هذا التصور لآلية عمل اللغة وتعليمها والغرض منها باعتباره نتيجة للتصور الخاص للغة يؤكده فتجنشتين بحديثه عما يهيئه هذا التصور ـ نموذج اللغة الخاصة ـ لنا، برؤيته الغرض الأخير للتواصل كامناً في إتاحة المجال لكل من السامع والمتكلم لمعرفة المعنى الخاص الذي تثيره الكلمة في ذهن كلّ منهما. أن أعرف معنى كلمة ما لا يعني أن أعرف كيف تستعمل: ما هي الكلمات الأخرى التي ترتبط بها وما الظروف المناسبة لاستعمالها والغرض منها، هناك شيء يقف دائماً خلف الكلمة ذاتها ويشكل معناها: الذهن. إن هذا التصور هو ما يعمل فتجنشتين على تفنيده.

يقول فتجنشتين في الفقرة (٢٦٣): «عندما أتخيل شيئاً، شيئاً ما يحدث فعلاً... شيئاً ما يحدث... أتلفظ بكلمة، لأي غرض أقوم بذلك؟. ربما لأخبر عما حدث. ولكن كيف يتم هذا الإخبار أو الإبلاغ، متى نوصف بأننا نقوم بالإخبار عن شيء ما؟. ما اللعبة اللغوية للإخبار؟. إننا إلى حدّ كبير مدربون على التواصل باللغة ـ عبر المحادثة ـ وذلك يبدو لنا كما لو أن الغرض الصحيح للتواصل يكمن في هذا: شخص غيري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفهم معنى كلماتي بوصفه شيئاً ذهنياً، إنه كما يظهر يدركه بعقله هو. إذا فعل بعد ذلك شيئاً آخر بمعنى الكلمات فإن ذلك ليس جزء من الغرض المباشر للغة[١].

نقد اللغة الخاصة:

أولاً: كيف ترتبط الكلمات بالإحساسات

يجب أن تشير كلمات اللغة الخاصة إلى الإحساسات المباشرة والخاصة، ولكن ما معنى «تشير» هنا؟ وكيف تشير الكلمات إلى الإحساسات. قد لا يبدو هنا أي مشكلة ألسنا ـ كما يقول فتجنشتين ـ «نتكلم عن الإحساسات كل يوم، ونمنحها الأسماء؟. هذا السؤال هو مماثل للسؤال التالي: كيف يتعلم الإنسان أسماء الإحساسات؟، وعلى سبيل المثال في حالة الكلمة «ألم». ها هنا إمكانية واحدة: الكلمات مرتبطة بالتعبيرات الأولية أو الطبيعية للإحساسات وتأخذ مكانها. الطفل الذي كان قد جرح نفسه يصرخ ويأتيه الكبار ويتحدثون إليه، ويعلمونه تأوهات، وبعد ذلك جملاً. إنهم يعلمون الطفل سلوك ألم جديد، على حدّ تعبير الفقرة (٢٤٢)[٢].

لاحظ أن ما تعلمه الطفل هنا هو أن يستبدل سلوكاً بآخر. يستبدل بالصراخ عبارة «أنا أتألم»، وليس أن يربط كلمة بموضوع خاص. ووفق هذا التدريب الذي تلقاه، يمكنه أن يلحظ هذا الارتباط بين الألم والتعبيرات الإنسانية عنه. وأن يستعمل الكلمة «ألم» لوصف حالات الآخرين.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 114.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن إذا لم تكن هذه الكلمة اسماً لموضوع خاص فما الذي تعنيه؟ هل تعني نوعاً من السلوك، أي موضوعاً آخر. إذا لم تكن تعني هذا الموضوع، أي الحالة الذاتية الخاصة، فهل تعني ذاك ـ المقصود سلوك التعبير عن الألم ـ . «أتقول إذن أن الكلمة «ألم» تعني حقاً الصراخ؟»[١]. «ألستَ في العمق سلوكياً مقنعاً... تقول إن أي شيء سوى السلوك الإنساني مجرد تخيل أو وهم»[٢].

يرفض فتجنشتين أن ينسب إليه موقف سلوكي بالمعنى السابق، كما يرفض أن تكون كلمة «ألم» اسماً لموضوع بذاته، أي الألم كإحساس خاص. وذلك لأن مفهوم الألم لا يستعمل وفق النموذج الاسم ـ الشيء كما يهيء لنا خصم فتجنشتين، انظر الفقرات (٢٩٣، ٣٠٤)[٣].

نحن نتعلم فعلاً معنى كلمة «كتاب» بأن نشاهد كتاباً ثم نميزه لاحقاً، وربما ساعدنا الآخرون على فعل ذلك، ولكننا لا نعرف معنى «ألم» بالطريقة السابقة، لأنها أي هذه الكلمة وسائر المحمولات السيكولوجية لا تستعمل لتصف مباشرة موضوعاً ما. فهي في الواقع تفترض معياراً مستمداً من كيفية استعمال الكلمة. هذا المعيار هو مقدرتنا مثلاً على ربط الكلمة «ألم» بالتعبير عن الألم بالصراخ أو التأوه أو باظهار علامات الألم على الوجه، أو سؤالنا للآخرين عما إذا كانوا يشعرون بالألم أو قيامهم بإخبارنا بهذا. فالعبارات «أنا أتألم»، و «الجرح يؤلم» هي ذاتها تعبير عن الألم، وأن نحاول وصل الكلمة «ألم» بالألم مباشرة بمعزل عن تعبيرات الألم قبل اللغوية سيكون بمنزلة وضع اللغة على حدّ تعبير فتجنشتين في الفقرة (٢٤٥) بين الألم وبين ما يعبرّ عنه.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 89.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضف إلى ما سبق أنّ رؤية الكلمة «الألم» اسماً لسلوك معين يعارض طريقة استعمال هذا المفهوم عند حديثنا تحديداً عن صلته بالسلوك. فإذا وصف شخص شخصاً آخر بأنه يتألم، فهل العبارة تصف سلوكه أم حالته الذاتية وشعوره بالإحساس، وإذا اتفق معه في عبارته فهل لأنه وصف سلوكه الخارجي؟، وهل يتعلم واحدنا الألم بمجرد ملاحظة سلوك الآخرين؟ أأدرك أنني أتألم لأنني ألحظ سلوكي في الألم؟.

إن سلوكنا باتجاهات معينة ـ على سبيل المثال الصراخ أو الترنُح ـ معيار لكوننا في حالة ألم، كذلك ما يقوله لنا الآخرون معيار آخر. والمعيار هو ما يكون أساسياً لفهم معنى، أو استعمال كلمة ما على نحو صحيح. إذا كان (س) معيار لـ (ش) فإن تعلُمي احداهما أو فهمي لها مشروط بالأخرى. لكن العبارة «إذا كان شخص ما يتصرف على نحو معين فهو إذن يتألم» ليست تحصيل حاصل. لأن الشخص يمكن أن يكون متألماً ولكنه لا يُري أله، كما أنه يظهر سلوك الألم، ويتصرف كما لو أنه يتألم وليس في حالة ألم. والصلة التي تقوم بين حالة ذهنية ما والسلوك الظاهر يُعبر عنها فتجنشتين بالقول إن سلوك الألم هو معيار لكوننا في ألم، هذه الصلة جزء من قواعد الاستعمال الخاصة بهذه الكلمة وليست شيئاً نابعاً من تعرفي الذاتي للألم كإحساس، أو حالة خاصة، وليست مشتقة من الملاحظة، أي مشاهدة سلوك الآخرين، فالتقرير الذاتي عن الألم، أنا أتألم، هو ذاته شكل من أشكال سلوك الألم الذي يتم تعلُمه والذي لا يقوم على تعرف ذاتي أكثر من الصراخ.

ثانياً: تشكيل مفهوم خاص

اتضح لنا أن معنى كلمة ألم ليس خاصاً بالمعنى الذي يرومه متكلم اللغة الخاصة. لأن تطبيق هذه الكلمة بوجود تعبيرات الألم قبل اللغوية ـ التأوه الصراخ. . .الخ ـ مقدرة يمكن تعليمها وفهمها بشكل عام وليست لهذا السبب خاصة، ليست شيئاً يعرفه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتكلم بوساطة خبرته الخاصة. ففي واحدة من فقرات الأبحاث المثيرة للجدل يقول فتجنشتين: «لكنك بالتأكيد سوف تقرّ بوجود اختلاف بين سلوك ألم مصحوب بالألم، وسلوك ألم غير مصحوب بالم؟، أقرُّ به؟ أيّ اختلاف كبير سيكون هنا؟ وهكذا فانت تصل المرة تلو الأخرى إلى النتيجة القائلة: إن الإحساس ذاته هو لا شيء، ليس على الإطلاق، إنه ليس شيئاً وليس لا شيء ايضاً! على حد تعبيره في الفقرة (٣٠٤)[١]. إذا كان الموضوع الخاص لا يلعب دوراً في تفسير ارتباط كلمات الاحساسات فإنه بذلك لا شيء وإذا كان شيئاً ما فإن التواصل سيكون محالاً. ومع ذلك فمن الواضح ان البحث في نحو هذا النوع من المفاهيم التي أغوت دعاة اللغة الخاصة وكشف طبيعتها العامة، أي شروط تطبيقها الكامنة في طريقة استعمالها، سيترك السؤال عما إذا كان متكلم اللغة الخاصة قادراً على تشكيل مفهوم خاص اعتماداً على نوع من الاحساسات التي لا تشكّل جزءاً من مفاهيمنا السيكولوجية كالألم، سيبقي السؤال قائماً. هذه المحاولة التي تبدأ مع الفقرة (٢٥٨) تعتبر عصب اللغة الخاصة لأنها تظهر ان اللجوء إلى أساس خاص للغة أو إلى تعريف اشاري ذهني لتأسيس معنى الكلمات سيبوء بالفشل أو على حدّ تعبير بيتر هكر فإن ما تعمل هذه الفقرات ـ (٢٥٨) وما بعدها ـ على تبيينه هو أنه لا مكان في نموذج اللغة الخاصة لوجود مقدرة على تشكيل أو خلق مفهوم ما، أو تزويد كلمة بالمعنى. ولا شيء يسوغ لنا دعوة هذه الممارسة لغة أو نوعاً من ابتكار مفهوم واستعماله باطراد. وبناء عليه فإن كون اللغة الخاصة غير قابلة للفهم والتعلُّم هو أقل الشرور لكن النقد الحقيقي هو أنها غير مفهومة حتى لمتكلمها[٢].

في الفقرة (٢٥٨) يدعونا فتجنشتين إلى تصور وضع يقوم فيه متكلم اللغة الخاصة

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 102.

(٢) Hacker. Insight, p. 234.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بتزويد العلامة (S) بمعناها من خلال ربطها المباشر باحساس خاص S، وذلك بوساطة تعريف ذهني، أي باللجوء إلى ما يعرفه المتكلم باستقلال كامل عن أي استعمال أو معرفة لغوية عامة، قلت عامة لأنه قد يلجأ إلى تعريف (S) بعلامة خاصة أخرى، ولكن الأخيرة اذا كان لها أن تكون ذات معنى خاص، فيجب عندها أن تعتمد على معرفة المتكلم الذاتية فقط.

«دعنا نتخيل هذه الحالة، أريد أن أدون في يومياتي تكرار إحساس معين. لهذه الغاية، اربط الإحساس بالعلامة (S) وأدونها على لائحة في كل يوم أمتلك فيه ذات الإحساس. سوف أنبه قبل أي شيء أن تعريفاً للعلامة لا يمكن أن تتم صياغته. ومع ذلك يبقى أنني قادر على أن أمنح نفسي نوعاً من تعريف اشاري. كيف؟ ألا يمكننا الإشارة إلى الإحساس؟ ليس بالمعنى المعتاد. غير أنه في وقت تلفُّظي بالعلامة أو كتابتي لها أركِّز انتباهي على الإحساس وبهذا أشير إليه ذهنياً»[1].

عندما يستاءل فتجنشتين عن ممارسة خاصة بالمعنى السابق، فهو لا يقول إنها غير ممكنة. كل ما يقوله هو أنَّ ممارسة تستند إلى أولية مطلقة للتعريف الذهني، بغرض ربط الكلمة بالمعنى، لا يمكن أن تكوِّن ما نسميه فعل تسمية أو تعريفاً حقيقياً. ففعل التسمية لا يكمن في نطق كلمة وقت حضور موضوع ما أو الإشارة إليه بل في نتائجه أو بهما معاً. ففي الفقرة (٢٦٨) يشابه فتجشتين فعل التسمية بفعل تقديم هبة.

في ظروف مناسبة من نوع التعبير عن الامتنان او الوعد برد الجميل تكون مثل هذه النتائج العملية جزءاً مما يجعل منح شخص ما بيده مالاً لآخره هبة. لكن الحال فيما يتعلق بالتعريف الإشاري الخاص الذي يقدمه المتكلم لذاته ليس كذلك، لأن النتائج

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمليـة التي تعدّ مـعياراً لإرسـاء تعريف حقـيقي لهذا الفـعل غائبة. تمـاماً مثلمـا تغيب شروط فعل الهبة عندما اتخيل يدي اليمنى تمنح يدي اليسرى مالاً[1].

إحدى النتائج التي يجب أن تتبع فعل تسمية ـ التعريف الإشاري ـ ضرورة وجود فئة كافية مـن العبارات الصادقة أو الكاذبة المتعلقة بمعنى الكلمة. لو عرّفنا كلمـة (سيبيا) بالإشارة إلى موضوع أو عيّنة لأحد الألوان، فيجب أن يكون ممكناً ـ نظرياً على الأقل ـ أن تستعمل هذه الكلمة لصنع عبارات صحيحـة أو خاطئة اعتماداً على مطابقتها أو عدم مطابقتها لعدد كاف من الموضوعات التي تعتبر جزءاً من ما صدق الكلمة (سيبيا).

وإذا تصورنا الآن شخصـاً يصف شيئاً ما بأنه من نوع ما تنطبق عليه كلمـة (سيبيا) وتحـققنا من هذا الموضـوع هل هو فعـلاً من ذات النوع أم لا، فـإننا نكون قد لجـأنا إلى المعيار الصحيح لاستعمـال هذه الكلمة أو لما يسوغ لنا فهم معناها. ولكن هذا الشرط لا يتحقق في حالة المفهـوم أو العلامة الخاصة (S). فلا معنى للقـول إنه من الممكن تطبيق مفـهومي الصدق والكذب على العـبارات التي تدخل (S) في تركيبهـا ما لم نفترض أن المسألة المتعلقة بمعنى هذه العلامة قد حـسمت. بمعنى آخر، إذا قيل إنّ استعمال (S) في عبارة مـا يمكن أن يكون صحيـحاً إذا اختبر مـتكلم اللغة الخاصـة فعلاً S وكـاذباً إن لـم يختبرها فإن هـذا القول لن يكون ذا معنى إن لـم يكن معنى (S) قد تم افتراضه مسبقاً. وإلا ما معنى أن نقول: إن هذا الشخص اختبر S فعلاً؟

إن الوهم الذي يقع فيـه متكلم اللغة الخاصة في الفقرة (٢٥٨) هو اعتقاده أن اللغة أو خلق مفهـوم ما لا يعني أكثر من «فعل تسـمية مجرد» أو تعـريف إشاري يأخذ شكل التلـفظ بـ (S) عند حـضور الإحـساس. وحـجـة فتـجنشـتين ضد هذا الوهم تقـول إن

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 94.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعريف الإشاري وبالرغم من كونه يشكل جزءاً من تفسيراتنا أو تسويغاتنا عند استعمال الكلمات أو تعلُّمها، وتعليمها، إلا أنه لا يحررنا من اللغة ممهداً لنا رؤية الواقع مباشرة، فالحقيقة أنه يبقينا فيها أو يصلنا بها. التعريف الإشاري لا يمكن أن يؤدي وظيفته ما لم نفترض ارتباطه بمعرفة لغوية مسبقة، تشكّل الإطار المناسب لفهم ما يقصد هذا الإجراء ـ التعريف ـ إلى تحقيقه.

افترض أنني أشرت إلى شيء وقلت «هذا هو الملك». فما الذي يمكن أن يحققه هذا الفعل وهذه الكلمات؟ وما الذي يفهمه الشخص الذي يسمعني إذا لم يعرف المقولة التي يندرج تحتها مفهوم (الملك) هنا. أليس هذا التعريف عرضة لتأويلات متغايرة بشأن المقولة التي ينتمي إليها الموضوع المنوي تعريفه؟.

فهل المقصود من التعريف شكل أم حجم أو لون أم مادة الموضوع المشار إليه؟ ليس هذا فحسب، فإنّ فعل الإشارة ذاته، التعريف، يمكن أن يكون عرضة لتأويلات مختلفة: لتتذكر الشخص الذي سينظر لا باتجاه إشارة اليد بل بعكسها، أو من لن يعني له ذلك أكثر من أي فعل عشوائي.

في هذا السياق يقول فتجنشتين، إن إشارة واحدنا لبندقتين لغاية تعليم شخص ما معنى الكلمة (اثنان) قد يُعتبر أو يُفهم من قبله باعتبار الكلمة اسماً لهاتين البندقتين. وليست تعريفاً للعدد (اثنان). ولكي نضع حداً لهذا النوع من التأويلات نزوّد (التعريف) بمعرفة لغوية مسبقة يحوزها المتكلم ويحقق التعريف على أساسها مرامه، أي نسوّغ الكلمة بأخرى، فيغدو التعريف بهيئة العبارة التالية: هذا العدد يسمى اثنين. ويعلق على ذلك فتجنشتين بقوله: «كلمة «العدد» أرتنا أي مكان في اللغة، في النحو، نحن نعزوه للكلمة (اثنان) وهذا يعني أنه قبل أن يرينا التعريف مكان الكلمة (اثنان) في اللغة فمن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضروري أن تكون قد شرحت مسبقاً»[١]. وفي مكان سابق يدعونا فتجنشتين لذات الغرض أن نتأمل هذه الحالة: «أقوم بشرح الشطرنج لشخص ما بالإشارة إلى بيدق قائلاً: هذا هو الملك: يمكنه أن يتحرك هكذا... الخ.

لكن التعريف الأخير لا يمكن أن يكون حقيقياً ما لم أفترض أنّ هذا الشخص «يمتلك حقاً مهارات اللعب، أو تابع الآخرين وهم يلعبون، مدركاً معنى هذه الممارسة»[٢]. التعريف الإشاري يمكن أن يفسِّر استعمال كلمة ما ـ معناها ـ عندما يكون «الدور الإجمالي الذي تلعبه الكلمة في اللغة جلياً»[٣].

غير أنّ لجوء فتجنشتين إلى هذه الحجّة أو الأمثلة التي تظهر أن التعريف الإشاري يفترض معرفة لغوية مسبقة، لا يجب أن يفهم منه أن الحصول على المعرفة الأخيرة يتطلب اجراءً مماثلاً ـ تعريفاً إشارياً ـ مما يعني الوقوع في دور منطقي: أي في تلك الحالة التي يتوجب عليّ عندها أن أفهم ما لا نهاية له من التعريفات لأجل فهم تعريف إشاري معين؛ والسبب أنّ هذه المعرفة يجب أن تتوقف عند نقطة معينة يكون فيها التعريف الإشاري والمعرفة التي تشكل إطاراً مناسباً له ـ أي اللعبة اللغوية أو كيف يُفهم ويُستعمل التعريف ـ شيئاً تظهره الممارسة على نحو تلقائي وكجزء مما ندعوه تقديم تعريف أو تفسير للكلمة. انظر الفقرة (٢٩)[٤].

قبل الانتقال إلى الكيفية التي يحاول فتجنشتين من خلالها تقويض المعنى الخاص أو التعريف الذهني المزعوم للعلامة (S)، اعتماداً على ملاحظاته السابقة بشأن التعريف

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 29.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإشاري والتي سندعوها «بحجة فتجنشتين ضد أولية التعريفات الإشارية» أشير إلى أن الحجة الأخيرة تسير بعكس التصور الأوغسطيني للغة. التصور الذي يهيء لمتكلم اللغة الخاصة أن أساس هذه اللغة يمكن أن يعتمد على ربط علامة ما مباشرة بموضوع ذهني. فتصور أوغسطين ومتكلم اللغة الخاصة يتجه إلى اعتبار المعنى أو اكتساب المفاهيم شيئاً يمكن أن يتحقق بفهم التعريفات الإشارية بدون الاعتماد على معرفة لغوية مسبقة.

فإذا كانت هذه التعريفات أساساً لربط الاسم بالموضوع مباشرة دون وساطة اللغة - على عكس التعريفات اللغوية - وكانت كل الكلمات وفق هذا التصور أسماء، فإن التعريف الإشاري سيكون أساساً مطلقاً للغة. وأية تفاصيل بشأن الطريقة المستعملة لتحقيق الارتباط بين الاسم والموضوع لا صلة لها بتقرير المعنى. لأن ما يهم هو الحقيقة المجردة لهذا الفعل، أي مجرد ربط الاسم بالشيء. وأي شيء أو موضوع هو إما مطابق أو غير مطابق للموضوع الذي قرن بكلمة معينة على نحو لا زماني بوساطة تعريف إشاري محدد. والأمر الأخير مستقل عما إذا كان بإمكاننا حسم هذا السؤال: أي ما إذا كنا نستطيع أن نميز هذا الموضوع من جديد أو كيف يتوجب علينا أن نحاول ذلك. فالتشابه هو التشابه - وما يبقى شأن سيكولوجي -[1].

تذكر أن ما يجب أن يظهره مثال العلامة (S) هو قدرة الموضوع الخاص على تزويدنا بمعيار لاستعمال هذه العلامة (S) على نحو مطرد، وأن لغة خاصة غير قادرة على فعل ذلك لن تكون ما ندعوه لغة لأسباب قوية.

من الممكن ونحن نواجه متكلم اللغة الخاصة في محاولته تزويد العلامة (S) بالمعنى، بتعريفها مباشرة بالإحساس S بمجرد تعريف ذهني خاص، أن نصوغ حجة

---

(١) Baker and Hacker, Scepticism, p. 37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتجنشتين المعتمدة على تقويض أولية التعريف الإشاري ضد التعريف الذهني الخاص بالقول: إن تعريفه للعلامة (S) بالإحساس S يعني أنه يمتلك قصد الإشارة إلى S، وهذا الفعل القصدي يفترض القدرة على تعيين الشيء المشار إليه وفهمه على نحو مسبق. وفي حالات لاحقة (مستقبلاً) فإن أي فعل إشارة لغرض معاودة تميز موضوع ما بوصفه من نوع الإحساس S يفترض امتلاك قصد ومقدرة على تعيين بماذا يتشابه الموضوعان، بمعنى أنه يفترض معرفة المعيار الذي يسوّغ لهذا المتكلم أن يستعمل عبارات ذات معنى، وتقبل الصدق والكذب، من نوع: الإحساس S عاد للظهور من جديد أو يغيب في هذه اللحظة أو يأتي ويروح. . .الخ وعلى حد تعبير بيتر هكر فإن المفارقة مع العلامة (S) هو أن متكلم اللغة الخاصة إن أراد أن يجعل (S) تعني S فيجب كتحصيل حاصل، أن تعني S والموضوع ـ يقصد الإحساس الخاص ـ لا يمكن أن يزود العلامة بالمعنى[١].

لاحظ أيضاً أنّ العبارات التي سيستعملها متكلم اللغة الخاصة لاحقاً لوصف الإحساس S لا يمكن أن يُطبَّق عليها مفهوما الصدق والكذب. لأن ما سيبدو له أنه الإحساس S سيكون كذلك، إعتماداً على معرفته الذاتية وليس على وجود معيار أو ممارسة مستقلة منطقياً عما يحسبه أو يظنه، أعني شيئاً له صلة بسلوك معياري للتفاعل مع الموضوع أو الإحساس. إنّ قول شخص عن نفسه أنه يعرف السباحة لا يعني أنه يعرفها، والعكس صحيح. تصور أنه سُئل عن معنى ذلك وأجاب أن تسبح يعني أن تقطع مضمار هذا الملعب، السباحة وفهم معنى عبارة ما أو علامة هي قدرات لها معنى باستقلال عن المعرفة الذاتية لهذا الفرد أو ذاك. وفي حالة متكلم اللغة الخاصة مع العلامة (S) فإن ما سيبدو له صحيحاً ـ على سبيل المثال ربط علامته بالإحساس ذاته ـ سيكون صحيحاً وعندها وعلى حد تعبير فتجنشتين لا يمكن أن نتحدث عما هو صحيح[٢].

---

(١) Hacker, Insight, p. 236.

(٢) Wittgenstein, Philosophical, p. 92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصواب والخطأ مفهومان ينطبقان على الكلمات أو العبارات عندما يوجد هناك استعمال مطرد لها، شيء نقصده بها. عندما نعني بها شيئاً دون آخر وهذا هو بالضبط ما يجعل المعيار لاستعمالها ممكناً.

غالباً ما تقترن الحجة السابقة بملاحظة فتجنشتين التي تقول إن لجوء متكلم اللغة الخاصة إلى ذاكرته الخاصة لتسويغ معنى (S) هو أمر يحتمه عدم احتكام متكلم هذه اللغة إلى ما نعتبره نحن تسويغا للاستعمال اللغوي السليم، من حيث اعتبارنا هذا السلوك سلوك معياريا وموجها بقواعد متاحة على الاقل نظريا لأي فرد. ومع ذلك فإن هذا الاجراء مكلل بالفشل ايضاً. وفتجنشتين بذلك ينتقل من نقد ما يزعمه متكلم اللغة الخاصة أساساً لاكتساب مفهوم ما إلى نقد ما يدعوه هذا المتكلم استعمالاً مشروعاً للعلامة الخاصة (S). وذلك لأن الشيء الذي نريد أن نسوِّغ به شيئاً آخر يجب أن لا يكون مطابقاً له. بمعنى آخر إن وجود ذاكرة زائفة عن (S) بوصفها تعني S لن يكون أبداً مسوغاً لاستعمالي (S) في وقت لاحق باعتبارها تصف الإحساس نفسه. لأنه حتى يكون تذكر معنى (S) ممكناً فيجب أن تُستدعى الذاكرة الحقيقية عنها، أي معنى (S). ولكن معنى الأخيرة كما سبق أن وضحنا لا يمكن للمتكلم أن يؤسسه اعتماداً على لغة خاصة أو تعريف ذهني ذاتي. فالتسويغ يجب على حد تعبير فتجنشتين في الفقرة (٢٦٥) أن يكمن في شيء مستقل. يقول فتجنشتين: «يمكنني أن ألجأ إلى ذاكرة لتسويغ اخرى، وعلى سبيل المثال: عندما لا أذكر على نحو صحيح موعد انطلاق القطار وأريد أن أتحقق من ذلك يمكنني أن استدعي إلى ذهني كيف بدت لي لائحة المواعيد». لكن هذا الاجراء كما يقول في الفقرة نفسها ليس هو الحال مع تذكر (S). لأن الحالة الأولى استدعت ذاكرة فعلية وصحيحة اي معنى تذكر موعد انطلاق القطار بتسويغه بلائحة المواعيد. فلو لم تكن الصورة الذهنية للائحة المواعيد تقبل هي نفسها الاختبار، فكيف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن لها أن تدعم صحة الذاكرة الأولى. (كما لو كان شخص ما يشتري نسخاً متعددة من جريدة الصباح ليؤكد لنفسه أن ما قد قيل صحيح)[١].

لاحظ مرة اخرى أن ما يقوله فتجنشتين هنا ضد متكلم اللغة الخاصة والعلامة (S)، بوصفه رداً مباشراً له على استعانة هذا الأخير بذاكرة تسوغ له استعمال (S) في المستقبل على نحو صحيح، أي تزويده بمعيار لتطبيق العلامة (S)، ليس من نوع الاعتماد على شكوكية بشأن الذاكرة. ما يقوله فتجنشتين ليس أن مبتكر العلامة (S) لن يكون متيقناً من استعماله لها لاحقاً لتشير إلى ذات الاحساس مثلما يمكن أن يحدث الأمر نفسه لمتكلم اللغة العامة على حد سواء؛ وذلك بالنظر إلى أن الأخير يمكنه أن يفشل في معرفة ما إذا كان يستعمل كلمة ما في الوقت الحاضر على نحو صحيح اعتماداً على تذكره التطبيق السابق لها؛ ما إذا كان يشك مثلاً في أن كلمة (أخضر) تسمى (أ) أو (ب). فالفقرة (٢٦٥) ليست كما اعتقد فلاسفة متعددون شكوكية بشأن الذاكرة، ومن هؤلاء على سبيل المثال روبرت فوجلن Fogelin [٢].

كان المشكلة التي يواجهها صاحب العلامة (S) هي أنه يمتلك لغة فعلية أو يعرف معنى (S) حقاً، ولكنه يفشل في تذكر الاحساس الذي قرنت به. وفتجنشتين لا يقول عندما أدعو لاحقاً شيئاً ما (S) فكيف لي أن أعرف أنه S؟. حتى لو فكرت على نحو زائف أو كاذب أن شيئاً ما هو S فيجب أن أعرف معنى (S). وهذا ما يرمي فتجنشتين إلى قوله[٣]. المشكلة مع متكلم اللغة الخاصة هي أنه لا شيء هناك يتذكره. إنه لا يفتقد طريقة تخبرنا أنه قد طبق العلامة على نحو صحيح أو غير صحيح بل إن ما يفتقده هو

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 94.

(٢) Fogelin, Wittgenstein, pp. 162 - 163.

(٣) Kenny, Wittgenstein, p. 182.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عين تطبيق العلامة (S) على نحو صحيح.

إذا لم يكن التعريف الذهني الخاص أساساً لتزويدي بالمعنى، ولم تسعف طريقة استعمال العلامة (S) اعتماداً على ذاكرتي الخاصة، أو إذا لم يكن هذا ما ندعوه استعمال مفهوم لغوي فهل نحن غير قادرين على تصور حالة شخص لم يستطع أن يتذكر الصورة الذهنية أو الموضوع الذي تعنيه كلمة «ألم» في لغته الخاصة؟ بالرغم من أنه يستعمل الكلمة الأخيرة على نحو ما نفعل؟.

يعلق فتجنشتين فيما يعتبر واحدة من أهم حججه ضد اللغة الخاصة بأن «الدولاب الذي يمكن أن يُدار ولو أن لا شيء يدور معه ليس جزءاً من الآلية». والشيء الزائد هنا أو ما يمكن التخلص منه بدون التأثير على استعمال كلمة «ألم» هو الموضوع الخاص الذي يزعم متكلم اللغة الخاصة أنه المعنى الذي لكلمة ألم. وهذه الحجة تؤكد ثانية من خلال المثال الشهير (الصندوق والزرادية)[١]. فإذا كان متكلم اللغة الخاصة يقول إن معنى الكلمة هو شيء خاص يختبره، فإن الحال سيكون كذلك مع الآخرين، والتواصل اللغوي كما سبق أن قلنا لمتكلم اللغة الخاصة كما للوك يصوغه فتجنشتين في هذا المثال بتخيل أفراد، يمتلك كل واحد منهم صندوقاً خاصاً به، وفيه شيء يدعوه كل منهم «زرادية». لا أحد يملك مدخلاً لمعرفة محتوى صندوق الآخر وكل منهم يعرف معنى «زرادية» بنظرة مباشرة إلى صندوقه الخاص.

وإذا تصورنا الآن أن للكلمة «زرادية» استعمالاً معيناً في لغة هؤلاء، فإن الموضوع الذي في الصندوق لن يكون ـ بغض النظر عن طبيعته ـ ذا صلة بمعنى الكلمة. يقول فتجنشتين: «إذا أولنا ـ فهمنا ـ قواعد التعبير عن الإحساس وفق نموذج الاسم

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 100.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والموضوع، فإن الأخير سوف يسقط من الاعتبار»، لأن معنى الاسم هو طريقة استعماله في اللغة، وليس موضوعاً بعينه، ولا فرق إن كان الموضوع فيزيائياً أو ذهنياً. والخطأ الأساسي لمتكلم اللغة الخاصة هو كما يقول فتجنشتين أنه يحسب أن معرفة ما يشير إليه الاسم هو ما سيمكنه من فهم معناه وأنه بذلك قد فهم استعماله الصحيح[١].

إذا كان للحجة السابقة أن تقول شيئاً فإنها تقول التالي: وفقاً لتصور متكلم اللغة الخاصة فإن طريقة عمل اللغة على أساس الاسم والموضوع الخاص الذي يشير إليه، إذا كان التواصل ممكناً فإن الموضوع الخاص المزعوم الإشارة إليه هو جزء من آلة معطوبة، ولا يؤدي بالتالي دوراً في آلية التواصل، وبالعكس فإنه إذا كان الموضوع الخاص يؤدي دوراً بوصفه جزءاً من آلية اللغة فإن التواصل سيكون محالاً[٢].

هناك انتقاد آخر يوجهه فتجنشتين لمتكلم اللغة الخاصة بشأن المعنى الخاص المزعوم للعلامة (S) بوصفها تسمي احساساً محدداً، يقول: «الإحساس» كلمة تنتمي إلى لغتنا المشتركة أو العامة، وليست مفهومة لي وحدي»[٣]. ولهذا فليس لنا الحق في افتراض أن الحرف أو العلامة (S) هو مجرد اسم لاحساس من نوع آخر، ما لم نكشف الارتباط بين هذه العلامة والكلمة «الإحساس». وأيضاً بينها وبين كلمات الإحساس الأخرى. ولن يكون مجدياً أن نلوذ بكلمات أخرى معتقدين أنها حيادية، مثل الكلمتين «شيء» و «هذا» قائلين بأنه من الممكن لنا أن ننسى الكلمة «الإحساس» مكتفين بالقول أن العلامة (S) تشير إلى «شيء» أو إلى «هذا» وذلك لأن الكلمات الأخيرة هي جزء من لغتنا العامة، وطريقة استعمالها لا يمكن أن يفي بها نموذج اللغة الخاصة إلا إذا جردّها من أي مضمون.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 93.

(٢) Hacker, Insight, pp 137 - 138.

(٣) Wittgenstein, Philosophical, p. 93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابستمولوجيا اللغة الخاصة:

ميزنا في العرض التمهيدي لنقاش اللغة الخاصة، بين خصوصية ابستمائية وخصوصية ملكية. شيء ما خاص بالمعنى الأول لشخص ما إذا كان وحده من يعرف هذا الشيء ومتى يظهر. وخاص بالمعنى الثاني إذا كان هذا الشيء ملكاً لهذا الشخص دون غيره. فنحن نشعر ـ على حد تعبير فتجنشتين ـ أننا نقول شيئاً عن طبيعة الألم عندما نقول إن شخصاً ما لا يمكنه أن يملك إحساس الآخر بالألم، ويبدو لنا وكأنه ليس زائفاً بل لا معنى للقول: «أشعر بألمه» وكأن ذلك بسبب طبيعة الألم أو طبيعة الشخص... الخ.[١]

من الخصوصية الابستمائية، وخصوصية الملكية، ونظرية اللغة الخاصة كما عرضت في الصفحات القليلة السابقة، تتشكل في نقاش فتجنشتين للغة الخاصة ثلاثة اعتقادات ابستمولوجية. وسيكون مناسباً قبل عرضها واتباعها بالنقد لو رأينا كيف تتضافر اللغة الخاصة مع مفهومي الخصوصية السابقين لانتاج هذه الاعتقادات.

الاستعمال الصحيح لكلمات الإحساس على سبيل المثال «الألم» هو ظهور الإحساس ذاته. وإذا قلنا ذلك فإن الفرق بين تقارير الحالات الذاتية المتعلقة بالمتكلم first - person reportes وتلك المتعلقة بالغائب third person reportes سيظهر بوضوح. ففي حالة «أنا أتألم» فإن المعيار لصحة هذه العبارة أو التعبير هو ظهور الإحساس الذي امتلك ادراكاً مباشراً له، ولا معيار كهذا يمكنه أن يتوافر لجهة الآخرين. فمهما كان نجاح الآخر في كشف ألمه عبر سلوك الألم، فإن ذلك قد يكون وقد لا يكون مصحوباً بألم فعلي. «فالألم» هنا كلمة تصف إحساساً خاصاً بي ويمكنني معرفته

---

(١) Wittgenstein. Notes, p. 157.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مباشرة، وفي حالة «الآخر» لا ملاذ لي سوى بناء حكمي على افتراض أنه يمتلك النوع نفسه من الإحساس الذي سبق لي امتلاكه على أساس سلوكه.

بناء على ذلك، فإن في حجة اللغة الخاصة ثلاثة اعتقادات ابستمولوجية يمكن تمييزها[١]. الأول اعتقاد التجريبي غير الشكي non - sceptical empiricist ويقول: معرفتي بظهور خبراتي الخاصة أمر مبني على اليقين وعدم القابلية للتصحيح او التعديل incorrigibility، وهو أمر غير متاح للآخرين. فأنا اعرف أنني اختبر (س) لأنني أمتلكها، وأراها في ذهني مباشرة كما هي، ولا يمكن لي أن أفشل في تمييزها أو إدراكها. إن الآخر فيما يبدو يعرف أنني اختبر (س) على أساس سلوكي الظاهر أو يمتلك فقط دليلاً استقرائياً لدعم حكمه بأنني أملك هذه الخبرة أو لا، بمعنى أن القضية التي تقول إنني اتصرف على نحو ما يفعل الناس عادة عندما يختبرون (س) لا تفضي منطقياً إلى تقريري الذاتي بشأن اختباري لـ (س)، والمعرفة التي يملكها غيري عن حالتي الذاتية بسبب الكلام السابق ـ تفتقر إلى يقين التقارير الذاتية غير أنها تبقى ذات معنى ما دمت اختبر (س).

يقود الاعتقاد السابق بيسر إلى شكوكية مترددة weak - kneed scepticism، أي إلى ما يصوغه فتجنشتين في الفقرتين (٢٤٦، ٣٠٣) بقوله: «أنا وحدي من يستطيع معرفة ما إذا كنت حقاً أتألم؛ الشخص الآخر يمكنه فقط أن يحدس ذلك. وأيضاً فإن بمقدوري وحدي فقط أن اعتقد أن شخصاً آخر يتألم. ولكنني أعرف ذلك إذا كان الشيء يتعلق بي»[٢]. وبهذا يستنتج الشكاك بأنه لا يعرف حقاً ما إذا كان الآخر يختبر (س) أم يتصرف على نحو يظهر أنه يشبهني عندما اختبر (س).

---

(١) Hacker, Insight, pp 231 - 233.

(٢) Wittgenstein, Philosophical, pp 89, 102.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يختلف هذا الاعتقاد عن حجة المشابهة فيما يتعلق بمعرفة عقول الآخرين؛ لأن هذه الحجة تنطلق من المبدأ القائل بأنني الاحظ ارتباطاً بين حالاتي الذهنية من جهة وسلوكي وحالة جسدي الفيزيائية من جهة أخرى، ثم الاحظ بعد ذلك وجود أجسام أخرى شبيهة بجسمي تظهر سلوكاً مشابهاً لسلوكي، وبالتالي فإنني في موقف مسوغ كي استنتج بالمشابهة أن حالات ذهنية كالتي اختبرها، مرتبطة بأجساد الآخرين بالطريقة نفسها التي ترتبط بسلوكي أو جسدي.

أما الاعتقاد الثالث فهو الأنا وحدية solipsism في جانبها الابستمولوجي، هذا الاعتقاد ينشأ عن اعتناق الخصوصية الابستمائية وخصوصية الملكية ونظرية اللغة الخاصة. والمعتقد بذلك يقبل مقدمتي الموقفين الابستمولوجيين السابقين، اي الخصوصية بمعنى الملكية، والخصوصية الابتسمائية، ولكنه أكثر وعياً بنظرية المعنى التي يستند إليها هذان المفهومان. وذلك لأن «الشيء الأساسي بشأن الخبرة الخاصة ليس أن كل واحد يمكنه أن يمتلك نموذجاً أو فكرة خاصة، ولكن لا أحد يمكنه أن يعرف أن الآخرين ايضاً يملكون هذا أو شيئاً آخر، فالافتراض القائل إن شخصين يمكنهما أن يمتلكا الإحساس نفسه بالحمرة سيكون ممكناً ولو أنه غير قابل للتحقق»، على حد تعبير فتجنشتين في الفقرة (٢٧٢)[١].

ملاحظات نقدية:

يقول فتجنشتين ضد الخصوصية الابستمائية المزعومة للخبرة أو المعرفة: «أنا وحدي من يعرف حقاً أنني أتألم، الشخص الآخر يمكنه أن يحدس ذلك. بمعنى ما هذا القول خاطىء، بمعنى آخر هو قول لا معنى له. إذا كنا نستعمل الكلمة «يعرف» كما تستعمل

---

(١) Wittgenstein. Philosophical. p. 95.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على نحو اعتيادي (وكيف ينبغي علينا أن نستعملها؟) فإن الآخرين يعرفون في الغالب أنني في حالة ألم»[١]. نحن نبني حقاً في لغتنا أحكاماً صحيحية نعرف من خلالها ليس فقط اعتماداً على السلوك - في حالة الألم «التعبير الطبيعي عن الألم» - بل على أساس ما يقوله لنا الآخرون. أما القول إن هذه المعرفة لن تكون بمنزلة معرفتي لأحوالي الذاتية لأننا قد نخفي أو نتظاهر في سلوكنا أو نكذب بشأن حالاتنا الذاتية، فإن هذا القول لا معنى له، وذلك لأن التظاهر بالألم سلوك نتعلمه بالعلاقة مع إظهار الألم أو اخفائه، وما لم توجد حالات لإظهاره فلن توجد حالات لاخفائه، وما لم نتعلم استعمال كلمة «التظاهر» في مقابل ما ليس سلوكاً متظاهراً فإنه لا معنى للحديث عن «سلوك الألم» باعتباره مجرد تظاهر. ونحن نفهم جيداً معنى أن يتظاهر الشخص بالألم في حالة، وأن لا يتظاهر في حالة أخرى. كما أن الحديث في حالة الطفل الرضيع أو الحيوان عن تظاهر بالألم سيكون شيئاً خارقاً.

الأهم من ذلك هو أن العبارة «وحدي من يعرف أنني أتألم». . . إذا صحت فإنها لن تدعم وجهة النظر القائلة إن المعاني خاصة، لأنه إذا كان بإمكان الآخر أن يحدس أنني في حالة ألم، في مقابل أنني أعرف ذلك، فإننا نستعمل هذه الكلمة - أي الألم - بالمعنى نفسه، وبالعكس إذا كان معنى الكلمة خاصاً فإنها لن تعني شيئاً مختلفاً لكل شخص منا، وبذا فإن شخصاً آخر لا يمكنه حتى أن يحدس ذاك الشيء الذي أعرفه لأنه سيكون بالنسبة له خالياً من المعنى[٢].

أما خصوصية الملكية المزعومة «للإحساس» أو للمعاني، أي الاعتقاد القائل بأن شخصاً غيري لا يمكنه أن يمتلك إحساسي، فإن حجة فتجنشتين ضد هذا الاعتقاد تأخذ

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 89.

(٢) Hanfling, Wittgenstein's, p. 11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكل التوضيحات التالية: أننا لا نقول على العموم إن الشخص يجب عليه أن يملك (ش) حتى يعرف معناها. وسوف يكون صحيحاً القول إن شخصاً غيري لا يملك كتابي أو أنفي ومع ذلك فإنه يفهم ما أعنيه بهذه الكلمات. صحيح أن هوية المعنى فيما يتعلق بكلمات تسمي أشياء فيزيائية تختلف عن هوية المعنى المتعلقة بالإحساسات؛ من حيث قدرة الآخر على فحص الموضوع الذي أشير إليه بكلمة كتاب أو أنف وعدم قدرته بالطريقة نفسها على فحص ما إذا كان معنى كلمة «ألم» هو الشيء نفسه الذي يكون عندما يستعملها هو لوصف إحساسه بالألم، وعندما يستعملها غيره ليصف إحساسه، إلا أن التشابه في الإحساسات يبقى جزءاً من قواعد استعمال هذه الكلمة «الألم». وعلى حد تعبير فتجنشتين في الفقرة (٢٥٣): «بقدر ما يكون هناك معنى عندما نتحدث عن الألم بوصفه شبيهاً بألم الآخر فإنه سيكون ممكناً لنا الحديث عن امتلاك كلينا لنفس الألم».

جزء من قواعد استعمال الكلمة «ألم» أن أناساً مختلفين يمكنهم أن يمتلكوا الألم نفسه. يمكنك على سبيل المثال أن تصف إحساسك بالضيق في ظروف محددة، ويمكن لآخر أن يقول أنني أفهم ما تعنيه، لقد مررت بالاحساس ذاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع
موقف كربكي

تمهيد:

يُعدّ تأويل كربكي للحجة الخاصة باتباع القاعدة وحجة اللغة الخاصة، وعزوه موقفاً فلسفياً شكياً لفتجنشتين، واحداً من أبرز ما غلب على النقاش المعاصر بشأن شكوكية القاعدة Rule - Scepticism. هذا الموقف الذي أقحم فتجنشتين في خضمه ليس صعباً تفسيره في وسط ثقافي غلب عليه النظر إلى اللغة بوصفها نظاماً قواعدياً شديد التعقيد والنظر إلى الفهم باعتباره اجراءً ضمنياً لهذا النظام وغير معروف صراحة لمتكلمي اللغة العاديين[١].

ليست هذه القواعد اذا نظر إليها بصفتها افتراضات تفسيرية على شاكلة التفسيرات العلمية في حقل العلم الطبيعي، ليست تلك التي يلجأ إليها متكلمو اللغة في الممارسة الفعلية عندما يقومون بعلميات التسويغ والتعليم والتصحيح. . .الخ. بل ما يمكن للنحوي التوليدي التحويلي، وللمشتغل في حقل علم النفس المعرفي أو علم الدلالة الفلسفي أن يكتشفه ويصوغه، حين يفعل ذلك فإن فهم هذه القواعد سيكون في متناول الأفراد. منظوراً إلى هذه القواعد بهذا الشكل فإنها لن تكون مجرد موضوعات مشكوكاً فيها فقط، بل ستفتح الباب أمام نتائج خطيرة وشكوكية جديدة.

كيف لي أن أعرف أنني أستعمل هذه الكلمة الآن على نحو يطابق معناها أو القاعدة التي تحكمها؟ وكيف لنا أن نعرف أننا نعزو المعنى نفسه أو نستعمل حقاً القواعد نفسها لإنشاء تخاطب مشترك؟.

---

(١) انظر حول هذا الأمر الهام المقدمة والفصل الثاني في: Baker and Hacker, Scepticism.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدعم الأسئلة السابقة الافتراض القائل: إن العلاقة بين القاعدة بصفتها افتراضاً تفسيرياً كلياً، والاستعمالات اللغوية المزعوم أن هذا الافتراض يفسرها، هي علاقة جائزة. وذلك لأن أي مادة لغوية لا يمكنها أن تقرر معنى قاعدة ذات طابع كلي، فمهما تكن استعمالاتي للقاعدة (+٢) فإنّ كوني استعملها بشكل صحيح لن يكون أكثر من مجرد افتراض. وهكذا تفصل القاعدة عن تطبيقاتها، وتتحول العلاقة بينهما من علاقة مفهومية، بسبب كون معرفة معنى القاعدة يعني القدرة على استعمالها، إلى علاقة جائزة تحتاج بدورها إلى شيء يفسرها.

وشكوكية القاعدة عندما تستعيد نمط الأسئلة الشكوكية التقليدية، أي عندما تسأل كيف لي أن أعرف أنني أعزو للقاعدة المعنى نفسه، حيث لا صلة جوهرية بين فهمي للقاعدة وبين مقدرتي على تطبيقها، أو عندما تقول: كيف نعرف أن الأفراد يعزون المعنى نفسه لنظام القواعد المفترض في لغتهم، عندما تفعل ذلك فإنها تنذرنا بأنه قد يترتب على هذه الشكوك أن مسألة اتباع القاعدة لا تتقرر إلا بحدوس الأفراد، والأسوأ من ذلك أن الفهم والمعنى يمكن أن يكونا مستحيلين.

بقبول المقدمات الشكية السابقة تنسب هذه النزعة الشكية خطأً، لفتجنشتين، حلاً شكياً. فإذا كان للغة والفهم أن يوجدا أو أن يوجد فهم موضوعي لهما، فإن ذلك يتحقق فقط بافتراضنا أن معنى كلمة ما أو فهمها منوط بسلوك الغالبية في المجتمع. هذا الاتفاق هو معيار ما هو صحيح وما هو خاطىء، وليس هناك وقائع أو شروط في العالم يمكن أن تتوافر لجهة العبارات التي تثبت المعنى أو الفهم لتعبير ما أو لشخص معين[١].

كيف لفتجنشتين أن يقبل هذا الموقف وهو يعتبر اللغة والمعنى كما رأينا مندمجين

---

(١) انظر ذلك مفصلاً في: Baker and Hacker, Scepticism, p. 56f.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في سلوك معياري، حيث الصلة بين القاعدة وتطبيقاتها تفسر بنحو اللغة بوصفها صلة مفهومية، وليست بالتالي أكثر مما يظهر في القواعد الفعلية التي يمكن لمتكلم اللغة أن يظهرها في ممارسته وتسويغاته للمعنى؟.

قراءة كربكي «للأبحاث»:

ما ركزت عليه هذه الرسالة في إجابتها عن السؤال الخاص بالاغراض المنوطة بحجة اللغة الخاصة، وكيف تنبني هذه الحجة على النقاشات السابقة لها، لا سيما حجة اتباع القاعدة، ليس نظرية فلسفية نسقية أو إشكالية محددة تأخذ شكلاً فلسفياً تقليدياً كالتي يعزوها كربكي لفتجنشتين هنا.

الأغراض المنوطة باللغة الخاصة والنقاشات السابقة لها تأخذ كما بيّنا طابعاً نقدياً وغير نسقي. وهي طرق فلسفية متعددة لتقويض نظريات فلسفية ميتافيزيقية ذائعة: كالتصور الأوغسطيني والذهني (الذاتي) أو الأفلاطوني (التأويلي) للغة أو تلك التصورات المتعلقة باللغة الخاصة بما في ذلك المواقف الشكوكية المستندة إليها.

إن الموقف بالنسبة لكربكي مختلف عما سبق، فهو وإن كان يقول إن قراءته هذه ليست شرحاً لآراء فتجنشتين ولا لآرائه هو، بل عرض لحجة فتجنشتين كما الهمت كربكي، أو كما أثارت مشكلة بالنسبة له[1]. إلا أن حقيقة الأمر هي أنه ينسب لفتجنشتين آراء لم يعتنقها، وتصورات نبذها فتجنشتين، ليس لأنها زائفة ومنافية للعقل، بل لأنها خالية من المعنى. كما أنه يسيء تأويل الأبحاث الفلسفية عندما يراه مخصصاً لاعتناق موقف فلسفي شكي يقف وراء، ويتعارض أحياناً صراحةً، مع نصوص متعددة في الأبحاث، وتحديداً تلك النصوص التي جيرها كربكي لأغراضه.

---

(١) Kripke, Wittgenstein on rules, p. 5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليست الحجة الحقيقية للغة الخاصة، كما يخبرنا كربكي، كامنة في الفقرة (٢٤٣) وما يليها، بل في الفقرات (١٤٢ ـ ٢٤٢)، أي في الجدل الخاص بالقاعدة واتباعها. فنتيجة هذه الحجة معبر عنها في الفقرة (٢٠٢): «ولهذا السبب أيضاً: إطاعة القاعدة ممارسة والتفكير بأن الشخص يتبع القاعدة ليس أنه يتبعها، ومن هنا فإن من غير الممكن اتباع القاعدة على نحو خاص Privetely: وإلا فإن تفكير أحدنا أنه يتبع القاعدة سيكون هو ذاته اتباعاً لها[1].

وفي سياق رؤية كهذه، فإن المشكلة التي يعالجها فتجنشتين في القسم المتعلق باتباع القاعدة هي شكوكية الطابع. وما الأمثلة المسهبة في هذه الفقرات حول «اللعب الموجه بالقاعدة» أو «القراءة» والأمثلة الرياضية إلا محاولة من قبل فتجنشتين لبناء شكوكية جديدة ليست هذه المرة ذات طابع تقليدي، أي أنها ليست شكاً في معرفة العالم الواقعي أو عقول الآخرين أو الماضي، فهي شكية جذرية بشأن اللغة أو المعنى.

كيف أعرف ما إذا كان استعمالي لكلمة الإضافة أو الجمع (في الحساب) يتطابق مع ما عنيته بهذه القاعدة مسبقاً؟، على افتراض أن استعمالي الحالي لها جديد. فلا شيء في الأمالي التي قدمت لي أثناء تدريبي على القاعدة (+٢) أو تلك التي أمليها أنا على نفسي، لا شيء في ذلك يقودني إلى كتابة ١٠٠٢، ١٠٠٤ بدلاً من ١٠٠٤، ١٠٠٨، . . . الخ.

الأمثلة والتدريبات يمكن أن تعد أو تؤول لمطابقة السلسلتين. ولا شيء في ذهني، أو في سلوكي، أو في القاعدة نفسها، أو في خطوات تنفيذها يمكن أن يحسم المسألة السابقة؛ أي ما إذا كنت حقاً أعني كتابة هذا العدد هذا وليس ذاك.

---

(١) Wittgenstein, Philosophical, p. 81.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا السبب وبتأويل كربكي، فإن النزعة الشكية المتصلة بما إذا كنت قادراً على معرفة أنني أستعمل القاعدة أو الكلمة بصورة مطابقة لما عنيته بها سابقاً يقود إلى المفارقة كما عبر عنها فتجنشتين في الفقرة (٢٠١): «كانت هذه مفارقتنا: لا يمكن لتتابع أي مجموعة من الأفعال أن يحدد بالقاعدة، لأن أي تتابع منها يمكنه أن يعد ليطابق القاعدة. كان الرد: إذا أمكن أن يعد أي شيء لمطابقة القاعدة، فإنه ايضاً يمكن أن يعد لمعارضتها، ولهذا لن يكون هنا تطابق أو تعارض.

وإذا لم يوجد هناك تعارض أو تطابق مع القاعدة، فليس هناك تطبيق لها. وليس هناك معنى، واللغة مستحيلة. فلما كانت معرفة صحة العبارات المتعلقة باستعمال الكلمات مشروطة بوقائع أو بما هو كائن، والأخيرة ليست متحققة، فإنه لا شيء هناك ندعوه اتباع قاعدة. نستنتج من ذلك أن معرفتنا للغة مستحيلة.

ويقبل فتجنشتين كما يزعم كربكي - مقدمات الشاك، لكنه يرفض أن تكون النتيجة الأخيرة ضرورية. يقبل بأن لا واقعة يمكنها أن تؤسس المعنى، لكنه يرفض أن يكون ذلك هو الطريق الوحيد لتحقيق ما ندعوه خطاباً ذا معنى. وحجته في ذلك أن الشاك يبني نتيجته على أساس أن المعنى يجب أن يكمن في توافر شروط الحقيقة - truth conditions، أي تلك الشروط التي تقول لنا إننا مسوغون في معرفتنا أن هناك وقائع يمكنها أن تطابق معنى عبارة من نوع (ش يعني كذا بكذا)، وأن أي شخص آخر يمكنه إذا احتل وضع (ش) أن يعرف معنى (أ). ولكن لأن وقائع من هذا النوع غير موجودة أساساً، فلا شروط إثبات بالمعنى السابق هي ممكنة. وكربكي يرى بدوره - وهو موقف يعزوه صراحةً لفتجنشتين - أن المعنى لا يكمن في وقائع على الإطلاق، وأنه لكي يكون ممكناً تطبيق مفهوم للغة اطلاقاً يلزمنا أن نتخلص من الافتراض المتعلق بشروط الحقيقة وأن نستبدل به شروط الإثبات assertion - conditions.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شروط الإثبات لواقعة كوني أعني و بـ (و) هي ميلي لتطبيق (و) على هذا النحو أو ذاك مفترضاً أن المجتمع الذي أنا عضو فيه يستعملها كما أفعل. وعندما تتوافر ظروف كهذه فلا مسوغ لإنكار أن يكون استعمالي الحالي (للعلامة) مطابقاً لما عنيته أنا والآخرون بها في وقت سابق. أن نعني شيئاً بكلمة معينة هو أن يوجد اتفاق اجتماعي يضع تمييزاً واضحاً بين أن يتبع واحدنا القاعدة حقاً، أن يوافق متبعي القاعدة، وبين مجرد أن يفكر الشخص أنه يتبع القاعدة.

النتيجة الأخيرة كما يحرص كربكي على تنبيهنا لا تجعل وجود شخص كروبنسن كروزو ممتنعاً، فتصورنا له يتحدث لنفسه ويستعمل كلماته بشكل صحيح إنما نقوم بجلبه إلى مجتمعنا، وتطبيق معاييرنا في اتباع القاعدة عليه، فهو مثل أي شخص آخر إذا اجتاز الاختبارات المتعلقة باتباع القاعدة، أي إذا وافقت لغته لغة مجتمعنا[١].

بهذا التأويل للفقرة (٢٤٣ وما بعدها) يأخذ النقاش الوضع التالي: بنية الأبحاث بحسب قراءة كربكي هذه، تعتبر الفقرات (١ ـ ١٣٧) نقداً لنظرية شروط الحقيقة كما دشنها فتجنشتين في مؤلفه المبكر (الرسالة)، والاستعاضة عنها بشروط الاثبات او التسويغ[٢]. والفقرات (١٣٨ ـ ٢٤٢) تتضمن المفارقة الشكية والحل الشكي. أما الفقرات (٢٤٣ وما بعدها) فهي تطبيق للملاحظات أو الاعتبارات العامة المتصلة باللغة في(١٣٨ ـ ٢٤٢) على مشكلة (الاحساسات)[٣]. والمشكلة حول الإحساسات هي الموقف الشكوكي وتحديداً الأنا وحدية، مشكلة تنبع من البحث عن وقائع لنطابق بها عبارات (الإحساسات)، سواء كانت هذه الوقائع حالات ذهنية أو سلوكاً. ومرة أخرى فما

---

(١) Kripke, Wittgenstein on rules, p. 110.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقترحه فتجنشتين لهذا الموقف الشكوكي أن لا نأبه للنتيجة التي توصل إليها الشكوكي والتي تعتمد على افتراض شروط للحقيقة، أو وجود وقائع مطابقة. وبهذا التأويل يكون تأكيد فتجنشتين على ما نفعله أو نعبر به عند استعمال هذا النوع من العبارات تأكيداً للحل الشكوكي أي للبحث عن معنى هذه العبارات في شروط الإثبات والاتفاق الاجتماعي[١].

خلاصة القول: أن ما يقوله كربكي هو أن فتجنشتين في سياق بحثه عن السمة المعيارية للمعنى، عما يجعل تطبيق مفهومي الصحة والخطأ على الكلمات والعبارات ممكناً، رأى أن تحديد هذه السمة غير ممكن إذا افترضنا بطبيعة الحال أن العبارات التي تعزو المعنى لـ (أ) مثلاً تعبر عن وقائع في العالم، وحيث لا وقائع من هذا النوع يمكنها أن تؤدي هذا الدور، فإن المعنى سوف يكون مستحيلاً. هذه هي المفارقة الشكوكية التي يعزوها كربكي لفتجنشتين.

الحل الشكوكي لهذه المفارقة، يتطلب منا فقط رفض أن تكون عبارات المعنى تفترض على نحو ضروري وقائع مطابقة لها، وتحليل عبارات المعنى بوصفها بديلاً باللجوء إلى شروط الإثبات. وهذه الشروط تفترض لتطبيقها فكرة المجتمع. أن نصف شخصاً ما بأنه يعني الجمع بـ (+)، أي أن نصفه بأنه يستعملها على نحو صحيح ومسوغ فإن ذلك يتحقق فقط إذا كان يتفق مع استجابات المجتمع المستعمل لذات العلامة. وثانياً أن يكون قادراً على فهم الدور الذي تلعبه هذه العلامة (+) في الأوضاع المختلفة لتوظيفها، وهذه المقدرة يظهرها بتفاعله الناجح مع أعضاء مجتمعه.

لاحظ أن هذا التحليل للمعنى يناظر اللاعرفانية non cognitivsism في تحليل

---

(١) Kripke, Wittgenstein on rules, p. 136.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطاب الأخلاقي. فالعبارات الأخلاقية لا تفهم بوصفها تصف وقائع أخلاقية، لأنها مجرد تعبيرات عن القبول أو الرفض لسلوك محدد. وثانيا إن مفهوم ابتاع القاعدة أو المعنى يغدو وفق هذا التأويل اجتماعياً بشكل جوهري. بمعنى أنه يتطلب علاقات بيشخصية، ولا يمكن تفسيره باللجوء إلى مفاهيم فردانية individualistic terms. والسمة تكون فردانية - وعلى سبيل المثال السمة المتعلقة بكون (ش) يفهم معنى س) إذا كان وجودها في لحظة معينة يمكن أن يفسر بدون اللجوء إلى وضع شخص آخر. وتكون سمة اتباع القاعدة اجتماعية عندما يتحقق العكس[١].

نقد أولي:

إن الشيء المهم وللعديد من النقاد، رداً على موقف كربكي السابق، ليس ما إذا كانت طبيعة الأسئلة التي يطرحها، والإجابات التي يدفع بها، والنتائج التي يستخلصها، متماسكة منطقياً أ لا. فالواقع أن كونها كذلك أمر مشكوك في صحته إلى حد كبير[٢].

إن اهتمامنا ينصب حصراً على تفنيد ادعاء كربكي القائل: إن نقاش القاعدة في «أبحاث» فتجنشتين يتضمن المفارقة الشكية، والحل الشكي، والحجة الحقيقية للغة الخاصة. ولهذا الغرض سوف نبين أن اعتبارات القاعدة، وفي الحقيقة نصوص صريحة في الأبحاث، تثبت أن نسبة هذه الآراء لفتجنشتين تحريف واضح. وأن فتجنشتين يقدم ملاحظات معارضة تماماً ومقوضة للآراء التي ينسبها كربكي إليه. والأمر الثاني أننا سنحاول، بإيجاز شديد، توضيح المضمون الفعلي للفقرة (٢٠٢)، والتي يقول فيها

---

(١) McGinn, Wittgenstein, pp. 66 - 67.

(٢) انظر حول هذا الأمر: McGinn, Wittgenstein, p. 139f.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتجنشتين: إن اللغة ممارسة وإن اتباع القاعدة على نحو خاص غير ممكن. والتي يزعم كربكي أنها تعبير عن نتيجة اللغة الخاصة، النتيجة المبنية في رأيه على الفقرات السابقة لـ (٢٠٢).

قبل أن نشرع في ذلك نشير إلى أن الفقرات (١ ـ ١٣٧) والتي اعتبرتها في هذا البحث ـ تبعاً للعديد من الدارسين المعاصرين ـ تفنيداً للصورة الأوغسطينية للغة والفهم. واعتبرها كربكي وفق تأويله الشكوكي استعاضة عن نظرية اللغة في الرسالة ـ نظرية شروط الحقيقة أو المطابقة مع الواقع ـ بنظرية شروط الاثبات، هذا الزعم الذي يتبناه كربكي مشكوك في صدقه ايضاً[1].

هل كان فتجنشتين شكوكياً؟

تبين لنا في مكان سابق من هذه الدراسة، أن موقف فتجنشتين من الاعتقادات الشكوكية الابستمولوجية المستندة إلى اللغة الخاصة، باعتبارها أساساً دلالياً او ابستمولوجياً لها، كالشك في معرفة العالم الخارجي او عقول الآخرين او اي شيء آخر سوى الذات (الأنا وحدية)، تبين لنا أنه لا يعتبر هذه الاعتقادات ذات مقدمات صحيحة، ولا يمكن التخلص منها كما يحاول كربكي ان يوهمنا، عندما يقول إن فتجنشتين يقبل الاعتقاد القائل بأن لا واقعة في العالم يمكنها أن تؤسس المعنى. فهذه الاعتقادات الشكية بالنسبة لفتجنشتين ليست زائفة ويمكن تجاوزها بل لا معنى لها. كيف يمكن ان تكون ذات معنى وليست أكثر من خرق لقواعد اللغة؟

---

(١) انظر: Baker and Hacker, Scepticism, p. 30f.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والى جانب اعتبار فتجنشتين صراحة - كما سنرى - المفارقة في الفقرة (٢٠١) معضلة ناجمة فقط عن سوء فهم، فإن الشيء الأساسي أنه لا يقبل بالموقف الشكي ولا بالحل الذي يعزوه إليه كربكي.

فإذا كان كربكي يفهم الحل الشكوكي، باعتباره رفضاً للاعتقاد بأن معرفة معنى العبارة هو معرفة الشروط التي يمكن ان تتوافر عندما تكون العبارة صحيحة او معرفة ما يطابقها او لا يطابقها من الوقائع، وانحيازاً إلى الاعتقاد بأن معنى العبارة يحدد بمجرد تحقق الاتفاق في السلوك اللغوي للمجتمع... اذا كان هذا ما يقوله فسيبدو ان كل خطابنا عن العالم سيفقد هو ايضاً مضمونه الواقعي. وبهذا تكون موضوعية المعنى التي يعزوها كربكي للحل الشكوكي غير ممكنة. فالعبارات التي تعبر عن الاتفاق او القضية «هذا الاتفاق ممكن او غير ممكن» يتعذر إثباتها في غياب المضمون الواقعي لعبارات اللغة.

وحتى لو كان كربكي يرى أن الحل الشكوكي يتضمن فقط تاويلاً مختلفاً لمفهوم الحقيقة، أي مطابقة العبارة للواقع، فهو في ذلك مخطىء ايضاً. اذ يمكن لكربكي ان يتبنى نظرية الحقيقة باعتبارها نوعاً من الاجماع consensus theory of truth حيث يكون معيار الصحة المتعلق بالمعنى هو تحقق نوع من الاتفاق الاجتماعي. ولكن إلى جانب رفض فتجنشتين نظرية من هذا النوع كما رأينا في مكان سابق من هذا البحث عند معالجته لمفهوم الاتفاق في اللغة[1]، فإن حقيقة الحل الشكوكي ستكون هي ذاتها معتمدة على نوع من الاتفاق الاجتماعي، وهذا ما لا يرغب او يستطيع كربكي ان يحققه. ولهذا السبب يكون استعمال واحدنا علامة ذات معنى غير ممكن في سياق

---

(١) ص ص ٣٠ - ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهم الذي يقدمه الحل الشكوكي للمعنى. وعلى حد تعبير فلاسفة معاصرين: «اتباع القاعدة لا يعني ان نفعل ما يفعله أغلب الناس عندما يتبعون القاعدة، الاتفاق الاجتماعي يحقق معنى الموضوعية (شروط الإثبات بوصفها معياراً لما هو صحيح) فقط بفصل العلاقة المفهومية بين القاعدة وما يطابقها. وفي مكان هذه العلاقة فإن التصور الاجتماعي يستبدل بها الاتفاق الاجتماعي، والذي ليس سمة مفهومية للقاعدة، الاتفاق الاجتماعي يظهر ان اعضاء المجتمع يلعبون اللعبة نفسها وضرورة ان يكون اتفاقهم في تطبيق قواعد هذه اللعبة ضرورياً ليس هو ذاته واحداً من قواعدها. فهي - أي اللعبة اللغوية القائمة على علاقة مفهومية بين القاعدة وتطبيقاتها - إطار مسبق فيه يمكن للعبة الاجتماعية ان تكون ممكنة[١].

الكلام الأخير يقودنا إلى رفض نسبة الموقف الشكي لفتجنشتين وذلك مرة اخرى لأن الإدعاء بأن المعنى غير حقيقي إطلاقاً ـ لا واقعة يمكن ان تطابقه ـ هو ذاته اعتقاد خال من المعنى. وذلك بسبب عدم قدرتنا على إثبات أن كل اتباع القاعدة مستحيل ما لم يكن هناك سلوك ندعوه فعلاً اتباع قاعدة. بمعنى أن الشكي عندما يقول: إنني لا أستطيع ان اعرف ما أعنيه بـ (+٢)، هنا كما في أي وقت، أأعني بها الجمع أو التساوي فإنه يفترض سلفاً معرفته معنى كل من الكلمتين السابقتين.

مثل هذه الآراء المدعومة باعتبارات القاعدة يمكن أن نجد مثيلاً لها في تبصرات فتجنشتين الابستمولوجية حيث يقول: «إذا حاولت أن تشك في كل شيء، فلن تشك في أي شيء: إن اللعبة اللغوية للشك تفترض ذاتها اليقين، واليقين المفترض سلفاً يتعلق هنا بمعاني الكلمات... فإذا لم تكن متيقنا بشأن أي واقعة (حقيقة) فلن تكون متيقناً

---

(١) Baker and Hacker, Scepticism, p. 75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من معنى كلماتك ايضاً[١].

اتباع القاعدة: كيف لا يكون خاصاً؟

في حجاج فتجنشتين المتصل باتباع القاعدة ينصب التركيز على أن فهم القاعدة، المعنى، ليس حالة أو عملية ذهنية تظهر في ذهن الشخص. كيف يفهم احدنا القاعدة ليس أمراً يقرره الذهن. ومن هنا فإن سماع علامة ما مع تحقق الفهم لها لا يتطلب حضور اي شيء في ذهن الشخص سوى العلامة ذاتها. والميل للاعتقاد بضرورة وجود شيء ما يصاحب العلامة نابع من أن الشخص قد يسمع العلامة، ولكنه قد يفهمها وقد لا يفهمها. وبالتالي فإن حضور العلامة، بما هي، في الذهن ليس كافياً لفهم معناها.

من هنا قد يبدو كما لو أنه يتوجب أن يضاف إلى العلامة شيء إذا كان للأخيرة أن تفهم. ومع ذلك فإن أي شيء يمكن أن يضاف إلى العلامة ويكون حاضراً في الذهن عندما نرغب في استعمالها هو مجرد علامة أخرى، او على حد تعبير فتجنشتين تأويل لها. ولكن لأن التأويل هو علامة اخرى فإن له الوضع المنطقي الذي للعلامة الأصلية (المراد تأويلها أو معرفة كيف تفهم). ومعنى ذلك أن كلا العلامتين معرض لشتى التأويلات. وهذا يعني تحديداً أنه عند سماع علامة ما وفهمها فإن تأويلها ليس شرطاً أو لن يكون ضرورياً. فالتأويلات لا تحدد المعنى ولا تقول لنا كيف نستعمل العلامة وماذا نفهم منها عند تطبيقها.

امتلاك اللغة يتطلب قابلية لاستعمال علاماتها على أنحاء موجهة بالقاعدة rule governed ways، إن الشخص لا يفهم علامة ما في لغة تعلمها إلا إذا كان يستطيع أن يستعملها على نحو موجه بالقاعدة. وعندما يستعمل العلامة، ويكون استعماله لها ذا

---

(١) Hanfling, Wittgenstein's, pp. 169 - 170.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى، فإن ذلك يتحقق إذا كان يتبع القاعدة. وإذا كان يستعملها، أي العلامة، في ظروف معينة بصفتها علامة ذات معنى، وبالتالي بوصف فعله هذا اتباعاً للقاعدة، فإن ما يجعل هذا صحيحاً أو حقيقياً ليس أنه قد زود العلامة بتأويل. إن الفشل في فهم هذه النقطة يقود إلى المفارقة التي تقول: إن أي فعل يمكنه أن يتحدد بالقاعدة، لأن اي فعل يمكن أن يعد لمطابقتها او التعارض معها، وعندها لا يمكن أن نتحدث عن اتباع القاعدة على الإطلاق وبالتالي نصل إلى اعتناق موقف كموقف كربكي.

لكن هذا سوء فهم تجبرنا عليه المفارقة النابعة من التصور التأويلي للمعنى. ورفض التصور الأخير يعني التخلص منها باعتبارها خالية من المعنى، وليس أن نقلبها كما زعم كربكي.

إذا لم يكن فهم القاعدة تأويلاً لها فيجب أن توجد حالة لفهم القاعدة لا تكون هي ذاتها تأويلاً لها. فالمعنى شيء يظهره احدنا في ميله لاستعماله العلامة أو في استجابته وتفاعله معها على نحو ما. المعنى شيء لا نظهره على حد تعبير فتجنشتين إلا إذا كانت هناك حالات فعلية لما ندعوه اتباع القاعدة وعصيانها: فهمي للأسهم يعني مقدرتي على التفاعل معها وقت حضورها وعلى نحو ما، وفي أوقات وظروف مختلفة، وقدرتي على اشتقاق أو معرفة قواعد اللعبة والخطوات اللازمة لها أو قدرتي على تعليم او تفسير استعمال الكلمة في حالات فعلية لاتباع القاعدة وسوى ذلك خرق لها.[١]

إذا كان التأويل قد حدد المعنى، فإنه سيكون ما يحدث في لحظة مناسبة occasion وهو ما يحدد كيف تفهم تلك العلامة او ما المعنى المنوط باستعمالها. ولكن لأن المعنى

---

(١) أنا مدين بهذا التحليل هنا وفي الصفحات القادمة للمقال التالي:

Budd, M, Wittgenstein on meaning and interpretation and rules, Synthes, 1984.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس شيئاً يصاحب العلامة، كذلك فإنه ليس ما يحدد استعمال العلامة أو كيف تفهم ذاك الشيء الذي يظهر أو يحدث هناك ولمرة واحدة. إن فتجنشتين يحدد هذه الحقيقة بإنكاره أن يكون ممكناً وجود قاعدة فعلية أو كلمة تعني شيئاً محدداً لمجرد وجود حالة واحدة لتطبيقها[1].

إذا كان التأويل يحدد المعنى فإن شخصاً ما يمكن أن يعني أو يفهم شيئاً ما بالعلامة بغض النظر عن توافر أي ميل لديه لاستعمالها: والمعنى سوف يفصل عن الاستعمال. لكن فهم علامة ما هو معرفة استعمالها او كيف يتوجب استعمالها؛ وكيف يفهم شخص ما العلامة أمر محدد بوساطة الاستعمال الذي يملكه لها. إذا كان ما يعنيه الشخص محدداً بما يظهر في عقله عندما يستعمل العلامة، فلن توجد قيود او ضوابط تفرض على ما يعنيه او يفهمه بالعلامة عندما يستعملها. لأنه كيفما او مهما استعملها في وقت ما، فإن هذا سيكون متسقاً مع اي شيء يظهر في ذهنه، وبالتالي فإنه إذا لم يكن هنا اطراد متميز فيما يفعله فسوف يعتبر متبعاً للقاعدة في استعماله للعلامة، اذا كان ما يظهر له في عقله «متشابها» عند كل حالة لاستعماله لها ولن يكون معيار اتباعه للقاعدة تفاعله مع العلامة (سلوكه) على نحو معين. وأكثر من ذلك، فإنه سيكون كافياً لشخص ما ان يتبع القاعدة في استعماله للعلامة، مرة واحدة، إذا كان هناك شيء ما حاضراً في ذهنه، وبذلك يكون اعتقاد شخص ما بأنه يملك شيئاً في ذهنه في واقعة مفردة (مرة واحدة) كافياً لكونه متبعاً للقاعدة. وبذا سيكون تفكيره بأنه يتبع القاعدة (لأن شيئاً يظهر في عقله) كافياً لكونه يتبع القاعدة كما يقول فتجنشتين في الفقرة (٢٠٢). ولكن، لأن اتباع القاعدة ليس شيئاً من نوع ما يظهر لعقل واحدنا، بل نوع من وجود اطراد فيما يفعله الشخص بالعلامة، فإن اتباع القاعدة هو ممارسة practice

---

(١) انظر الفقرة (١٩٩): Wittgenstein, Philosophical, pp. 80 - 81.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يمكن ان يتبع واحدنا القاعدة على نحو خاص privately.

إذا كانت الحجة الأخيرة تعني شيئاً محدداً، فإنها تعني أن اعتقاد فتجنشتين في حجة اتباع القاعدة أن اللغة ممارسة لا يعني تقييدها بما هو اجتماعي. فالمقابلة في هذه الفقرة، أي (٢٠٢) تحديداً، ليس بين ما هو خاص (فرداني) وعام (اجتماعي) كما يقدمه كربكي؛ بل بين اتباع قاعدة على نحو خاص أي باللجوء إلى الذهن والتأويل، إلى حالة لتطبيق العلامة مرة واحدة، وبين اتباع القاعدة باعتبارها ممارسة، أي نوعاً من السلوك المطرد في استعمال العلامات[١].

---

(١) لتوضيح هذه القضية الهامة يراجع: McGinn, Wittgenstein, p. 139f.

وانظر أيضاً: Baker and Hacker, Scepticism, pp. 20 - 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة أن تحقق أموراً عدة، لا يقل أمر منها، في تقديري، أهمية عن الآخر. ابتداء عالجت الدراسة المضامين الفلسفية لمؤلف فتجنشتين الشهير: رسالة فلسفية منطقية، وأبرزت بعض الاختلافات الأساسية بين هذا المؤلف والمضمون الفلسفي «للأبحاث»، مشددة على أن طبيعة اللغة والمنطق والصلة بينهما كانت ميزة جوهرية للكتابين.

وقدمت النقاش الذي دار بشأن نقد فتجنشتين نظريات اللغة المستندة إلى التصور الأوغسطيني للغة والنقاش المتعلق باتباع القاعدة بوصفه (ثورياً)في أكثر من أمر، وبخاصة تشديده على أن التصورات: المعنى والفهم والتفسير عصية على التحديد خارج الممارسة الفعلية للغة. وفي هذا السياق تحدثنا عن اخفاق التصور الذاتي أو الذهني والتأويلي (الأفلاطوني)، والابستمولوجيا المرتبطة بها، في تحليل طبيعة «اللغة» و «العقل».

وتوجه البحث بشيء من التفصيل إلى آراء فتجنشتين المناهضة لوجهة النظر التي تعتبر أن المتكلم يملك مدخلاً أو إدراكاً خاصاً لاحساساته، يجعله بفعل معرفة ذاتي ومفرد، وحده من يعرف ما هي. كما سعى في السياق نفسه إلى تقويض الاعتقاد القائل إن معرفة الواقع معطاة لي فقط بوصفها موضوعات ذاتية وكون معرفتي للحقائق الواقعية خاصة بمعنى منطقي، معرفة ترتبط بما هو مستقل عني على نحو جائز، ولا تقبل التصحيح.

وأظهرت حجة اللغة الخاصة خلافاً لهذا التصور أن التقارير الذاتية لا يمكن أن تمكن الفرد من معرفة «موضوع خاص»، وأن ميزتها عن تقارير الحالات المتعلقة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالآخرين طابعها التعبيري وعدم حاجتها للتسويغ، هو ثمرة اللعبة اللغوية المتعلقة بالإحساسات، تفهم وتعلم وتقال في لغة عامة.

الأمر الآخر أن فتجنشتين يقترح شيئاً معارضاً للتقليد الديكارتي بشأن كيفية ارتباط الكلمات بالإحساسات، وعلى سبيل المثال: كيف ترتبط كلمة «الألم» بالألم، معتبراً «الإحساسات» موضوعات تقف مع موضوعات العالم الفيزيائي على مستوى واحد من حيث تحدد معنى كل منهما بالقواعد التي تزودنا بها لغة عامة تفترض عالماً موضوعياً ومشتركاً بين الأفراد، ولو أن هناك فروقاً مفهومية تميز هذه الموضوعات عن تلك.

والأهم من ذلك أن نموذج اللغة الخاصة، أي النموذج الذي يفترض موضوعاً خاصاً يعرف مباشرة ويؤسس المعنى، لا مكان له في تفسير استعمال كلمات اللغة العادية وفهمها. ولا حتى لتشكيل مفهوم خاص واستعماله باطراد. ولغة كهذه لا يمكن أن تكون مفهومة حتى لصاحبها ولا شيء يمكن أن يقال في لغة خاصة. من هنا عدت الشكوك المتصلة بوجود عالم موضوعي وأفراد مستقلين، شكوكاً لا معنى لها. واللغة الخاصة على حد تعبير فتجنشتين آلة معطلة.

أخيراً حاولت أن أوضح لماذا سلك الفيلسوف صول كربكي طريقاً خاطئاً في تأويل هذه الحجة و «الأبحاث» بشكل أعم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع والمصادر

- Alston, William, Philosophy of Language, Prentice-Hall,1964.
- Baker,G.P.,Wittgenstein, frege, and the Vienna Circle, Blackwell, 1987.
- Baker, Folowing wittgenstein: some signposts for philosophical Investigation (142 - 242), in Holtzman's and Leich, C, (eds.), Routledge and Kegan paul, 1981.
- Baker, G.P. and Hacker, P.M.S, Scepticism, rules and Language, Blackwell, 1984.
- Baker, G.P and Hacker, P.M.S., Language , Sense and Nonsense, Black well, 1983.
- Baker G.P. and Hacker, P.M.S,Wittgenestein: Understanding and meaning, Blackwell, 1980.
- Budd, Malcolm, Wittgenstein on meaning, interprtation and rules , synthes,58, 1984.
- Fogelin, Robert, Wittgenstein, Routledge and Kegan paul, 1976.
- Hacker, P.M.S,Insight and illusion, Oxford, 1972.
- Hanfling, oswald, Wittgenstein's later philosophy , Macmillan,1989.
- Kenny, Anthony, Wittgenstein, Blackwell, 1973.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- Kenny, A, Cartisian and privacy, in: Picher, George (ed.), Wittgenstein, Macmillian, 1966.

- Kripke, saul, Wittgenstein on rules and private Language, Harvard University press, 1982.

- McGinn, colin, Wittgenstein on meaning, Blackwell, oxford, 1984.

- Petrie, Hugh, Science and Metaphysics, in klemke (ed.) Essays on Wittgenstein, University of ILLinois, 1971.

- Winch,P., Studies in the philosophy of Wittgnstein,Routledge and Kegan Paul,1969.

- Wittgenstein, Ludwig, Philosophical investigations, Blackwell, Oxford, 1974.

- Wittgenstein, ludwig, wittgenstein's notes for lectures on "private experience" and "sense data", in Philosophical Review, 1968.

- Wittgenstein, ludwig, Tractatus logico- philosophicus, trans. by pears and Mc Guinness, Routlege and Kegan paul, 1961.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Private language argument

Prepared by: Ayman Hammoda

Supervised by: Walid Atari

The Private language argument "encompasses the critical remarks and arguments crystallized by Wittgenstein, especialy in his book "Philosophical investigations", aganist the existance of private language in logical sense, a language that it's vocabulary only refers to direct and subjective sensations of the speaker, which, for this reason, is not accessible or understood by others.

The semantic aspect of the private language,i.e., the language theory which is involved as an answer to questions pertaining to language concepts aquisition and their uses as well as achieving a common communication,etc, heavily relies on assuming primary ostensive definitions, i.e., something similar to private mental definitions that will constitute our perception of the final bases of the language. These bases will achieve direct connection between language and reality, between indefinable signs and metaliguistic objects that could be impression, thoughts or special exprience and sense data as empirical philosophers believe.

٤٨٠٦١١

The epistemological aspect of the private language, on the other hand, is heavily represented in the caresian tradition that gives an epistemological

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

priority to what is mental and private rather than the physical and the public. It can also be manifested in the sceptical trends on the existance of and objective language and world shared by all individuals independent from private experience.

While the criticism of Wittgenstein refutes the belief that says a speaker possesses a private approach or a perception for his own sensations that makes him the only one who knows its actual meaning, thus refutes the belief that our knowledge of reality derives from our own private knowledge. Neither self reportes related to sensations to be used in real lingustic practices nor assuming a private object can explain to us how to use sensations words in a public language.More importantly, a private language, i.e., a language that relies on private object that gives the word its meaning or to a private mental definition that provides us with a criterion for lingustic correctness is not possible and will not be unerstood even to the one who uttered it. Therefore, doubts whether there is and objective world and meaning make no sense.

Finally, this study shows how private language argument was based on the debate on the Augastinian pictrue of language and the debate on rule-follwing and the importance of distinction between what these debates can achieved, thus opposing Sual Kripke's undrstanding of the relationship between these debates.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit